ولاة طرابلس

من بداية الفتح العربي إلى نهاية العهد التركي

تأليف
الطاهر أحمد الزاوي

الناشر
دار الفتح للطباعة والنشر - بيروت
والسيد محمد الرماح بشينه - ليبيا

ولاة طرابلس

الطبعة الاولى

١٣٩٠ هـ – ١٩٧٠ م

ولاة طرابلس

من بداية الفتح العربي إلى نهاية العهد التركي

تأليف

الطاهر احمد الزاوي

الطبعة الأولى

الناشر

دار الفتح للطباعة والنشر - بيروت

والسيد محمد الرماح بشينه - ليبيا

الإهداء

إلى أبناء طرابلس . إلى الذين يحبون أن يعلموا مَنْ حَكَمَهَا من العرب والبربر والترك . أهدي هذا الكتاب .

الطاهر الزاوي

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

طرابلس المسلمة

في سنة ٢٢ هـ غزا العرب طرابلس ، يحملون إليهـــا تعاليم الاسلام من كتاب الله ، وسنة محمد رسول الله – لينشروهـا في ربوعها ، ويستظل سكانها بظل عدالتها

واستمر غزوهم لهـا نحو سبعين سنة وهي بين مد وجزر يُسلم أهلها تارة ، ويرتدون أخرى

وفي عهد حسان بن النعمان ، وبعد قتل الـكاهنة البربرية ، ضرب الاسلام بـجِرانِه في طرابلس – بل وفي افريقيا كلها – وأخذت تلك القلوب المتحجرة تتفتح لتصغي الى ما في تعاليمه من رحمة وعدالة ، ومساواة بين طبقات البشرية ، فلمستهـــا بشاشته في رفق زاد في طمأنينتهـا الى هذا الدين الجديد الذي

جاء به العرب الى افريقية التي كانت غارقة في ظلم الروم وجبروتهم، وحالوا بينها وبين نور المعرفة، واتخذوا منها مورداً لرفه العيش ونعيم الحياة .

ولم يلبث الروم أن تقلص ظلهم من افريقية ، وبزغ عليها النور المحمدي: نور الاسلام وتعاليمه السمحة ، وعدالته الشاملة، فتسابق الناس اليه ونهلوا من موارده ما جعلهم سادة في بلادهم ، وحكاماً على أنفسهم ، بعد أن كانوا مسودين وعبيداً مسخرين .

ولقد مر على طرابلس أكثر من ألف وثلاثمائة سنة وهي تدين بدين الاسلام الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ، وتستظل بظله من حر الالحاد ، ولا تبتغي بتعاليمه بديلاً .

وقد مرت بها في هذه الحقب الطويلة حكومات وحكام من أجناس بشرية ثلاثة ، هي : العرب ، والبربر ، والترك .

ولكل من هذه الأجناس الثلاثة مميزات يجدها القارىء في هذا الكتاب الذي استعرضنا فيه من مثلوها من حكام وحكومات .

وسميته (ولاة طرابلس) فخذه أيها القارىء الكريم .

الطاهر الزاوي

٢٠ شعبان سنة ١٣٨٩ هـ

٢٩ ديسمبر سنة ١٩٦٩ م

عَهدُ الخلفاءِ الراشِدينَ

لم يكن للفتح العربي في افريقية –في عهد الخلفاء الراشدين– أثر يذكر في اقتصادياتها أو ثقافتها ، لأنه كان عهـد مد وجزر بين الفاتحين وسكان افريقية .

ولم يظهر للفتح العربي أثر إلا في أواخر عشرة السبعين ، من فتح حسان بن النعمان ، وبعد قتل الكاهنة ، حينما أخذت أقدام العرب تستقر في افريقيـــة ، وأنس البربر بالدعوة الجديـدة : الدعوة الاسلامية التي لم يعرفوها من قبل . وربطت بينهم وبين العرب ، وصار كل من الجنسين يألف الآخر .

وفي هذا الوقت كانت افريقية من أغنى بلاد العـــالم ، يسير الراكب في ظلالها الوارفة من طرابلس الى طنجة .

ومن أراد أن يبحث عما للعرب في افريقية من أثر عمراني أو ثقافي فليبحث عنــه فيما بعد حروب العرب مع المعز بن باديس ، في منتصف المائة الخامسة .

وفي الحقيقة أن حياة طرابلس من سنة ٢٢ هـ الى سنة ٩٠٠هـ كانت كلها حروباً وثورات ، لم تتح لهـا فرصة استقرار أكثر من

خمسين سنة – فيما أعلم – تسترد فيهـا أنفاسها ، وتنمي فيهـا اقتصادياتها وثقافتها .

ومن الصعب جـداً أن يكوّن الانسان فكرة عن طرابلس – في هذه المـدة – من واقع حياتها الاقتصادية أو الثقافيـة لظروفها المتقلبة ، وعـدم الاستقرار الذي حرمته منـذ مئات السنين .

- ١ -

عمرو بن العاص

ابن وائل ، بن هاشم ، بن سُعَيد ، - بالتصغير - بن سهم ، ابن عمـــر ، بن هَصيص ، بن كعب ، بن لؤي القرشي ، يكنى أبا محمد وأبا عبد الله .. أحد عظماء العرب ودهاتهم .

كان في الجاهلية من الأشداء على الاسلام ، ولد سنة ٥٠ ق هـ وأسلم قبل الفتح في صفر سنة ٨ . وكان النبي صلى الله عليه وسلم يدنيه لمعرفته وشجاعته . فتح مصر وطرابلس وتوفي سنة ٤٣ هـ وهو أول أمير عربي في عهد الخلفاء الراشدين أرسله عمر بن الخطاب لفتح طرابلس .

وبعد أن أتم فتح الاسكندرية في النصف الأخير من سبتمبر سنة ٦٤٢ م الموافق لذي القعدة سنة ٢١ هـ سار بجيشه الى المغرب لفتح طرابلس بأمر من عمر بن الخطاب . ومرّ في طريقه ببرقة ففتحها صلحاً على جزية يؤدونها كل سنة ، ولم يبد أهلهـــا أيّ مقاومة ، لأنهم كانوا مستائين من حـكم الروم ، كانت نفوسهم متأثرةً بما بلغهم من أخبار انتصار العرب في مصر والاسكندرية وحسن معاملتهم للناس ، والمحافظة على أموالهم وأعراضهم .

فتح زويلة :

زويلة عاصمة فزان زمن الفتح الاسلامي ... ولمـــا كان عمرو بن العاص في برقة – في طريقه الى طرابلس – أرسل اليها جيشاً من المسلمين بقيادة عقبة بن نافع ففتحها سنة ٢٢ هـ .

وبعد أن أتم عمرو فتح برقة سار الى أطرابلس ، ومر في طريقه بسُرت ، ولبدة ، ولم يجد فيها مقاومة ، حتى وصل الى أطرابلس ، ونزل بجيشه في المكان المسمّى الآن بالظهرة ، وبقي يحاصر المدينة نحو شهر لا يقدر منها على شيء لأنها كانت مسورة من جهة البر من الجنوب والغرب ، ويحيط بهـا البحر من الشمال والشرق ، ثم أمكنه الله من فتحها عنوة .

فتح ودّان :

ولما كان عمرو بن العاص محاصراً مدينـــة أطرابلس بعث إلى ودان جيشاً بقيادة بُسر بن أبي أرطاة(١) ، ففتحها سنة ٢٣ هـ. وفرض على أهلها غرامة قدرها ٣٦٠ رأساً من الرقيق . وبعـد أن غادرها بُسر ارتد أهلها وبقوا على ردتهم الى أن فتحها عقبة ابن نافع سنة ٤٩ هـ .

---

(١) العامري . واسم أرطاة عمير . كان بسر من المتحمسين لمعـــاوية . وحضر صفين ضد علي . وكان شجاعاً ، وفيه قسوة البـداوة . وأوقع ببيت النبوة كثيراً من القتل والتشريد حتى خد لهم الأخاديد. وقتل ولدي عبيدالله ابن عباس وهما صغيران على يدي أمهما ، ففقدت عقلها وهامت على وجههـــا . وقد دعا عليه علي بأن يطيل الله عمره ويذهب عقله ، وكان كذلك . (ولا أظن أن هذا الرجل لمست بشاشة الاسلام قلبه) .

وبعد أن أتم عمرو فتح طرابلس سار إلى (صبراته) فصبّحتها خيله ، وحاول أهلها أن يدافعوا عن أنفسهم ، ولكنهم غلبوا ، وفتحت المدينة عنوة .

وبعد أن أتم فتح صبراته ذهب بجيشه الى شروس عاصمة البربر في الجبل. ولم تلبث أن دخلها العرب فاتحين. ومن شروس كتب عمرو بن العاص الى عمر بن الخطاب في المدينة المنورة يقول له :

« إن الله قد فتح علينا أطرابلس، وليس بينها وبين إفريقية إلا تسعة أيام ، فإن رأى أمير المؤمنين أن يغزوها ويفتحها الله على يديه فعل » .

وبقي عمرو في شروس ينتظر رد أمير المؤمنين عمر . وفي رأيي لا يقل هذا الانتظار عن شهرين ان لم يزد ، لأن المسافة بين أطرابلس والمدينة المنورة لا تقل عن شهرين ذهاباً وإياباً .

وجاء رد عمر يقول فيه :

« لا إنها ليست بافريقيّة ، ولكنها المفرقة ، غادرةٌ مغدورٌ بها ، لا يغزوها أحدٌ ما بقيتُ » .

ويظهر أن عمر خاف على جيش المسلمين — اذا توغل في افريقية — أن ينقضّ عليه البربر والروم وهم من الكثرة بمكان ، فيوقعون به ، على قِلّته ، وبُعد مركز المدد عنه. وهي إحدى نظريات عمر التي اتسمت دائماً بالحيطة والصواب .

وبفتح شروس انتهى الفتح العربي الأول لإفريقية ، وانتهت ولاية عمرو على أطرابلس ، ورجع الى مصر سنة ٢٣ هـ . وترك عقبة بن نافع في برقة والياً عليها وعلى أطرابلس .

ولم تلبث أطرابلس أن نقضت عهدهـا مع عمرو ، وبقيت برقة على عهدها لأن عقبة كان موجوداً بها .

- ٢ -

عبد الله بن أبي سرح

هو عبد الله بن سعد ، بن أبي سرح . وأبو سرح اسمه الحسام ابن حُبيب – بالتصغير – بن جذيمة ، بن نصير ، بن مالك ، القرشي ، العامري ، من بني عامر بن لؤيّ . من قريش . فاتح إفريقية ، وفارس بني عامر ، من أبطال الصحابة وهو من أهل مكة .

أسلم قبل الفتح . وكان من كتاب الوحي. ثم ارتد ، وأهدر النبي صلى الله عليه وسلم دمه يوم الفتح . وأجاره عثمان ، وأسلم وحسن اسلامه .

زحف على افريقية بجيش فيه الحسن والحسين ، وعقبة ابن نافع . وفتح ما بين طرابلس وطنجة .

توفي بعسقلان سنة ٣٧ هـ فجأة وهو قائم يصلي .

وهو أخو سيدنا عثمان من الرضاع . ولاّه سيدنا عثمان على مصر سنة ٢٥ هـ وانتهز فرصة وجوده فيمصر فكان يرسل خيله الى افريقية ليعلم ما فيها من قوة ، وما تركه فتح عمرو بن العاص

في نفوس أهلهـا من أثر ، فكانت خيله ترجع بالغنائم بدون أن تلقى مقاومة . فأخذ يفكر في فتح أطرابلس مرة ثانية ، فبعث الى أمير المؤمنين عثمان يخبره بما تأتي به خيله من الغنائم ، وبدون أن تلقى مقاومة ، ويقترح عليه فتح افريقية مرة ثانية .

وقد عرض عثمان ما اقترحه عليه ابن أبي سرح بشأن فتح إفريقية على كبار الصحابة مثل علي بن أبي طالب ، وطلحة ، والزبير ، والعباس ، فأشار كلهم بغزوها ، فاعتزم عثمان الأمر ، وكتب الى ابن أبي سرح في مصر بالموافقة .

وتسامع الناس بما اعتزمه أمير المؤمنين عثمان من فتح إفريقية ، فجاءوا أفواجاً يعرضون أنفسهم للجهاد في سبيل الله . واجتمع جيش المسلمين في المدينة . وكان ذلك في المحرم سنة ٢٧ هـ . وبعد أن فرّق عليهم الخليفة السلاح قال لهم : « لقد استعملت عليكم الحارث بن الحكم الى أن تقدموا على عبدالله بن أبي سرح فيكون الأمر اليه ، وأستودعكم الله » .

ووصل الجيش الى مصر ، وانضم اليه من كان في مصر ، وأصبح عدده لا يقل عن عشرين ألف مجاهد. وبعد أن استكمل عُدّته سار إلى إفريقية بقيادة عبدالله بن أبي سرح . ولما وصلوا الى أطرابلس مرت إحدى طلائع المسلمين بالمدينة فتحصن أهلها بالسور ، ورأى المسلمون بعض السفن راسية على الساحل

فأخذوهـا وأسروا من فيها ، ولم يُبدِ أهـل المدينة مقاومة ، فاكتفى المسلمون منهم بذلك ولم يهاجموهم .

وتقدم المسلمون الى سُبيطلة ، وكانت عاصمة ملك جُرجير. وكان من خبرهم معه ما فصّلناه في كتابنـا (الفتح العربي في ليبيا) .

- ٣ -

عبد الله بن أبي سرح

هذه هي المرة الثانية التي تولى فيها عبد الله بن أبي سرح ولاية طرابلس سنة ٢٩ هـ من قبل سيدنا عثمان .

وكان الدافع لغزو إفريقية في هذه المرة هو أن جرجير ملك سبيطلة نقض العهد الذي أبرمه مع عبد الله بن أبي سرح في الغزوة التي قبل هذه . ولما مر ابن أبي سرح بطرابلس في طريقه الى سبيطلة لم يقم أهلها بما يقتضي مهاجمتها ، بل الظاهر أنها بقيت على حالتها في الغزوة الأولى .

ولما تغلب المسلمون على جرجير وقتلوه ، وغنموا منه غنائم لا تحصى [١] ، طلب عبد الله بن أبي سرح من عثمان بالمدينة أن يرسل اليه سفناً في البحر ليحمل فيها الغنائم ، فأرسلها اليه ، ووافته في طرابلس ، وهو راجع الى المشرق . وهذا يدل على أن طرابلس بقيت على عهدها مع ابن أبي سرح فيغزوته الأولى.

---

(١) راجع كتابنا (الفتح العربي في ليبيا) .

عَهدُ الأمويِّين

- ٤ -

معاوية بن حُديج

ابن جفنة ، بن قُنبُر ، أبو نُعيم الكندي ، ثم السَّكوني ، صحابي ، حضر حرب صِفّين في جيش معاوية ، ولي إمرة مصر ليزيد بن معاوية ، وولي غزو مصر مراراً ، آخرها سنة ٥٠ هـ وكان حازماً مقداماً . وأمه كَبَشةُ بنت معد يكرب . وتوفي بمصر سنة ٥٢ هـ .

لمعاوية بن حديج في افريقية غزوتان أو ثلاثة . وقد نقلت في كتابي (الفتح العربي في ليبيا) من أقوال المؤرخين ما يفتح أمام القارىء اختيار أحد القولين .

وما كادت الخلافة تفضى الى معاوية بن أبي سفيان حتى أخذ يفكر في فتح افريقية لأن أهلها انتهزوا انشغال المسلمين بفتنة عثمان وحروب علي ومعاوية فنقضوا عهودهم وارتد بعض من أسلم. فاختار لها معاوية بن حديج لسابق خبرته بها ، وأرسله اليها سنة ٤٥ هـ على رأس جيش قدّره بعض المؤرخين بنحو عشرة آلاف .

ومر في طريقه بطرابلس ، فـــلم تبد أي مقاومة . ويظهر أنها اختارت أن تحتفظ بعهدها مع العرب ؛ لأن ُبعد ُسبيطلة عنها – وهي عاصمة الروم – جعلها لا تنتظر مساعدتها فيما اذا نقضت عهدها مع العرب . وانتهز ابن حديج فرصة مسالمتهـــا له وولـّى عليها رويفعَ بن ثابت الأنصاري ، وبذلك أمن انتقاض أهلها، كما أمـّن طريق الرجعة فيما لو اضطروا الى الرجوع. وسار في طريقه الى القيروان .

- ٥ -

رويفع بن ثابت

ابن السكن، بن عَدي، بن حارثة، من بني مالك بن النجار، الأنصاري المدني، صحابي خطيب، من الفاتحين. نزل مصر، وأمّره معاوية بن حُدَيج على طرابلس الغرب سنة ٤٦ هـ، فغزا إفريقية من طرابلس. وتوفي ببرقة سنة ٥٦ هـ وهو أمير عليها من قبل مسلمة بن مُخلّد (١).

ولما مر معاوية بن حُديج بطرابلس وهو في طريقه إلى إفريقية ولّى عليها رويفع بن ثابت الأنصاري سنة ٤٦هـ وسار الى القيروان. وغزا رويفع جربة من أطرابلس سنة ٤٨ هـ، وأمر أصحابه بألا يأتوا السبايا إلا بعد الاستبراء، وقال لهم: إن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لا يحل لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسقي ماءه زرع غيره) ونهاهم عن استعمال دواب الغنيمة وأمتعتها إلا بعد القَسْم.

---

(١) هو مسلمة بن مخلد بن صامت، بن نيار، بن كوذان، بن عبد ود بن زيد بن ثعلبة بن الخزرج، الصحابي الأنصاري. ومسلمة: بفتح الميم وسكون السين المهملة. ومخلدة بضم الميم وتشديد اللام.

- ٦ -

عقبة بن نافع

ابن عبد القيس ، الأموي القرشي ، الفهري – من بني فهر – بطن من بطون قريش ، فاتح من كبـار القواد الفاتحين في صدر الاسلام .

ولد قبل الهجرة بسنتين ، واختلف في صحبته ، جاهد فوفق ، وحارب الكفار فأبلى .

حضر فتح مصر ، ودخل افريقية فاتحاً عدة مرات : قائداً تارة ، وجندياً اخرى .

لما كان عمرو بن العاص نازلاً بجيشه في الظهرة وهو يحاصر مدينة أطرابلس أرسل عقبة بن نافع سنة 22 هـ إلى زويلة ففتحها .

ولما رجع عمرو الى مصر سنة ٢٣ هـ ولـّى عقبة على ما فتح من البلاد . وبقي عقبة في برقة والياً ، الى سنة ٤٩ هـ وفي هذه السنة ولاّه معاوية بن أبي سفيان على افريقية ، وأرسل اليـه الجيش وهو ببرقة ومنها ابتدأ سيره الى افريقية .

وقبل أن يتوغل في افريقية فتح ودّان المرة الثانية بعد أن نقضت العهد الذي ابرمته مع بسر بن أبي أرطاة سنة ٢٣ هـ . وفتح جِرمَة – وهي عاصمة فزان اذ ذاك – . وتوغل في بلاد السودان .

ثم رجع من السودان وفتح غدامس سنة ٤٩ هـ وهو في هذه الغزوة لم يكن له شأن يذكر مع مدينة طرابلس لأنه سلك بجيشه طريقاً جنوبي جبل نفوسة . وكان يكتفي بارسال الخيل لغزوها .

وفي هذه الغزوة فتح القيروان ، وأسس مسجدها الجامع الذي ما زال معروفاً به (جامع عقبة) وعُزل عن افريقية سنة ٥٥ هـ وولي عليها مرة ثانية من قبل يزيد بن معاوية سنة ٦٢ هـ وفي هذه المرة أوغل في فتح افريقية حتى بلغ بحر الظلمات (المحيط الأطلنطي) .

وبسبب غزواته أخذت قواعد الاسلام ترسو في افريقية . وأخذت بشاشته تخالط قلوب البربر ، فأخذوا يعتنقونه .

وفي رجوعه من المحيط تعرض له البربر في جموع كثيرة برياسة رئيسهم كسيلة ، وكان مع عقبة نحو ٣٠٠ مجاهد فقتلوهم عن آخرهم في مدينة تهود في أواخر سنة ٦٣ هـ أو في المحرم سنة ٦٤ هـ عليهم جميعاً رحمة الله .

- ٧ -

زهير بن قيس البلوي

أمير من القادة الشجعان الفاتحين . شهد فتح مصر . وكانت له مع الروم والبربر في إفريقية وقائع هائلة .

والبلوي : نسبة الى بَلي – كعلي – قبيلة من قُضاعة .

وكان زهير في جيش عقبة . وبعد قتل عقبة ولاه الجيش القياده العامة . ولكنه لم يقدر على مقاومة البربر برياسة كسيلة أحد رؤساء البربر ، فرجع الى برقة سنة ٦٤ هـ ، وبقي فيها الى سنة ٦٩ هـ . وفي هذه السنة ولاه عبد الملك بن مروان على إفريقية ، وأمدّه بالأموال والرجال والخيل ، وحشد له وجوه العرب .

وسار في جيش كبير الى القيروان مركز كسيلة وجيوشه ، ومع أنه سلك الطريق الساحلي ، فلم نعرف ما فعل بطرابلس ، إلا أن ولايته كانت تشمل كل ما وراء الحدود المصرية .

ووصل الى القيروان . والتقى بكسيلة . وبعد معارك دامية قتل فيها كسيلة ، وقتل من أتباعه خلق كثير .

وانتهز الروم وجود زهير في إفريقيـــة فجهزوا جيشاً في اسطول من القسطنطينية واحتلوا برقة .

وبعد أن قتل كسيلة واحتـــلّ زهير القيروان رجع الى المشرق . ولما وصل برقة وجد الروم احتلوها ، وكان قـد عرج على الساحل في نحو سبعين رجلاً من أصحابه .

ولما رآه المسلمون استغاثوا به فأغاثهم. واشتبكوا مع الجيش الرومي في معركة عظيمـة . وكان الجيش الرومي كثيراً فقاتلوا حتى قتلوا عن آخرهم سنة ٧٦ هـ عليهم رحمـة الله . ومـا زالت قبورهم معروفة في درنة بقبور الصحابة .

ولهذه القصة روايتان ذكرتهما في تاريخ الفتح العربي هـــذه إحداهما .

- ٨ -

عطية بن يربوع

بعد أن قتل زهير انتدب لقتال الروم في برقة عطية بن يربوع المذحجي . فاستغاث ببعض المسلمين الذين كانوا منتشرين في بادية برقة وحوالي درنة ، فاجتمع له نحو سبعمائة رجل ، وزحف بهم على الروم ، فقاتلهم حتى هزمهم ، ولم ينج منهم إلا من فر بالسفن في البحر .

- ٩ -

حسان بن النعمان

ابن عدي ، الأزدي ، الغساني ، من أولاد ملوك غسان ، قائد من رجال السياسة والحرب ، من المشهورين في الفتوحات الاسلامية . وكان يلقب بالشيخ الأمين .

كان حسان بن النعمان والياً على مصر من قبل عبد الملك بن مروان . وفي سنة ٧٧ هـ [1] أضاف اليه ولاية المغرب ابتداء من أجدابية ، وأمره بالخروج الى افريقية لفتحها ، وأطلق يده في أموال مصر يعطي منها من شاء كيف شاء ، وخرج في جيش يتكون من نحو أربعين ألفاً، وهو أكبر جيش دخل إفريقية منذ غزاها عمرو بن العاص سنة ٢٢ هـ .

ولما مر بأطرابلس نزل بها ، ولم يذكر أحد أنه لقي فيها أي مقاومة ، مما يدل على أنها بقيت على عهدها مع من سبقه .

وسار الى القيروان . وفتح قرطاجنة . وتقدم الى جبال

---

(١) اختلفت روايات المؤرخين في هذا التاريخ . وقد ذكرتها في (الفتح العربى في ليبيا) فانظره .

أوراس [1] حيث تقيم الكاهنة ، ملكة البربر [2] ، فهاجمها. والتقت به في عدة معارك ، من أقساها معركة (وادي سكتاته) فانهزم حسان في هذه المعركة شر هزيمة ، وقتل من أصحابه خلق كثير ، وأسر منهم نحو ثمانين رجلاً ، وفر حسان في نفر قليل من أصحابه الى أطرابلس . وأرسل بهزيمته الى عبد الملك ابن مروان بمصر ، فأرسل اليه عبد الملك أن ينتظر حيث أدركه كتابه ، فأدركه في أراضي سُرت ، فأقام بها خمس سنوات ينتظر المدد ، وبنى بها قصرين ما زالت بقاياهما موجودة ، وتعرف بقصور حسان ، وأتاه المدد سنة ٨٤ هـ ويقدر بنحو أربعين ألفاً .

وفي هذه السنة ، استأنف حسان غزو الكاهنة ، في جبال أوراس ونشبت بينهما حرب قاسية ، انتهت بقتل الكاهنة وزوال ملكها في رمضان سنة ٨٤ هـ . وبقتل الكاهنة حسن إسلام كثير من البربر ودانوا بالطاعة للعرب .

وكان حسان أول من دوّن الدواوين في افريقية . وجعل اللغة العربية في دواوين الحكومة هي الرسمية ، ووضع الخراج على الروم ، وعلى من بقي معهم من البربر ، ورجع الى المشرق

---

(١) سلسلة جبال بالجنوب الشرقي من قسنطينة بالجزائر .

(٢) لهذه الكاهنة خبر طويل ذكرته في (تاريخ الفتح العربي في ليبيا) وهي التي أخربت افريقية ، واسمها دهيا بنت ينفاق .

ومعه من الغنائم ما لا يحصى كثرة .

ولما مر ببرقة – وهو راجع الى المشرق – ولّى على خراجها ابراهيم بن النصراني ، كما استخلف على افريقية رجـلاً من جنده يقال له صالح .

وذهب الى أرض الروم غازيـاً في عهد الوليد بن عبد الملك فتوفي بها سنة ٨٦ هـ .

- ١٠ -

بكر بن عيسى القيسي

ولـّى عبد العزيز بن مروان موسى بن نصير على إفريقيــة ، وقدمها سنة ٨٨ هـ . وكانت له في إفريقية فتوحات كثيرة .

وقبل رجوعــه الى المشرق سنة ٩٤ أو ٩٥ هـ ولـّى على أطرابلس بكر بن عيسى القيسي . وكانت طرابلس شملها مـا شمل القيروان من الهدوء الذي تركها عليه حسّان بن ثابت .

وكان مع موسى بن نصير المنيذر الصحابي . ولما رجع الى المشرق سنة ٩٤ أو ٩٥ هـ بقي المنيـذر في أطرابلس الى أن توفي وقبره مشهور لا يختلف فيه اثنان .

والمنيذر – بصيغة التصغير – : يمــاني من مَذحج ، أو من كِنْدة . ويقال له المنيذر الافريقي لطول ما أقام في إفريقية . وقـد صحب النبيّ صلى الله عليه وسلم . وروى عنـه رشدين بن سعد ، وحيّ بن عبدالله ، من طريق عبد الرحمن الحبلي .

●

ملحوظة :

منذ أن رجع موسى بن نصير الى المشرق سنة ٩٤ أو ٩٥ هـ لم نعثر على والٍ أو عامل خاص بطرابلس غير بكر بن عيسى ، ويزيد بن مسلم ، وكانت الولايات طول هذه المدة عامة لإفريقية كلهـــا .

يزيد بن مسلم الكندي

كان هشام بن عبد الملك ولـّى عبيدة بن عبد الرحمن [١] على افريقية في المحرم ، أو صفر سنة ١١٠ هـ . وقد ولى عبيدة هذا يزيد بن مسلم الكندي عاملاً على أطرابلس .

وقد كلف عبيدة المستنير بن الحجاب الحرشي بغزو صقلية ، فتثاقل عن غزوها حتى دخل الشتاء ، ثم جهز جيشاً لغزوها ، فهاج عليه البحر ، وغرقت كل السفن بما فيها ومن عليها ، ورمى البحر بالسفينة التي كان عليها المستنير على أطرابلس . فأمسكه يزيد حتى جاءه كتاب من عبيدة يأمر بالقبض عليـــه وارساله إليـــه مُوثقاً ، فنفذ يزيد أمر عبيدة . ونكل عبيدة بالمستنير وأوجعه ضرباً ، وحمله على حمار في وسط القيروان تشهيراً به .

---

(١) ابن أبي الأغر السلمي ، مـــن بني ثعلبة ابن الهيثم بن سليم ، والي افريقية والاندلس ، وصاحب خيل معاوية بصفين .

ولاه هشام بن عبد الملك على المغرب بعد وفـاة بشر بن صفوان . فدخل القيروان سنة ١١٠ هـ واستمر أربـــع سنين وستة أشهر .. وتوفي بعد سنة ١١٤ هـ .

- ١٢ -

صفوان بن أبي مالك

ولّى هشام بن عبد الملك على افريقية كُلثومَ بن عياض [١] في جمادى الآخرة سنة ١٢٣ هـ . وكان صفوان بن أبي مالك والياً على أطرابلس . ولما وصل كلثوم الى طرابلس وهو في طريقه الى القيروان هيأ صفوان جيشاً من الطرابلسيين وسار معه، فوصلوا القيروان في رمضان من هذه السنة ووقعت بينهم وبين البربر وقائع كبيرة .

ومن رؤساء البربر في هذه الحرب عُكّاشة بن أيوب الفزاري من البرابرة الصفرية ، وكان يقيم بنواحي قابس ، فأرسل أخاه الى صبراته فحصر أهلها في المسجد ، واستعد هو للقاء كلثوم .

وبلغ صفوان والي طرابلس ما حلّ بأهل صبراته ، فخرج لنجدتهم، وحاول أخو عكاشة أن يحتفظ بصبراته ولكنه غلب

---

(١) القشيري أمير افريقية ، وأحد الأشراف الشجعان القادة . ولاه هشام بن عبدالملك على افريقية، وسار اليها في جيش عظيم سنة ١٢٣ هـ وقتل في معركة مع البربر في وادي (سبو) من أعمال طنجة .

على أمره، ونجا برأسه منهزماً بعد أن قُتل أكثر أصحابه، ولحق بأخيه عكاشة في قابس .

وكتب كلثوم الى صفوان يستنجده على عكاشة ، فأنجـــده بأهل طرابلس . وقتل كلثوم قبل أن تصله نجدة الطرابلسيين ، فرجع صفوان الى طرابلس ، وكان هذا في أواخر سنة ١٢٣ هـ.

- ١٣ -

معاوية بن صفوان

ولما استفحل أمر عكاشة في افريقية ، بعد قتل عبد الرحمن ابن عقبة بن نافع عين هشام بن عبد الملك حنظلةَ بن صفوان الكلبي [١] والياً على افريقية في صفر سنة ١٢٤ هـ . وعين حنظلةُ معاوية بن صفوان عاملاً على طرابلس .

ولما اشتدت الحرب بين حنظلة وعكاشة أرسل حنظلة الى معاوية يستنجده ، فأنجده بأهل طرابلس .

وقبل أن تصله نجدة الطرابلسيين نصره الله على

(١) أبو حفص ، أمير من القادة الشجعان ، دمشقي ، أقام والياً على مصر سنة ١١٩ الى ١٢٤ هـ ونقل الى افريقية والياً عليها وثورة البربر مندلعة فأخمدها . وأرسل الى الأندلس فدانت له . ولما اضطرب أمر الخلافة في الشام أخرجه أهل افريقية سنة ١٢٩ هـ وتوفي سنة ١٣٠ .

عكاشة [1] وأسره وتشتت جيشه ، فأمر حنظلةُ معـــاويةَ أن يتقدم بالطرابلسيين لمحـــاربة البربر في نفزاوة ، فذهب اليهم ، وقاتلهم حتى قتل . فبعث حنظلة زيد بن عمرو الكلبي الى جيش معاوية ، ورجع به الى طرابلس وكان ذلك سنة ١٢٤ هـ .

---

(١) عكاشة بن أيوب الفزاري من برابرة هوارة، ومن المتمذهبين بمذهب الخوارج الصنفرية الذين يستحلون أموال أهل السنة ، ويستبيحون نساءهم وقتلهم . وكان معه جيش من البربر يقدر بثلاثمائة ألف . فالتقى به حنظلة خـــارج القيروان بمكان يقال له القرن ، فكسر جيش عكاشة ، وجيء به أسيراً الى حنظلة فقتله . وكانت هذه المعركة من أكبر المعارك التي وقعت في افريقية بين العرب والبربر ، وقتل فيها نحو مائة وسبعون ألفـــاً وكانت سنة ١٢٤ هـ . واشتهرت بواقعة القرن . وسمع الليث بن سعد بهذه المعركة فقال : (ما غزوة كنت أحب أن أشهدها بعد غزوة بدر أحب إلي من غزوة القرن) .

إلياس بن حبيب

ابن أبي عبيدة ، بن عقبة بن نافع الفهري. أمير شجاع . كان مع أخيه عبد الرحمن لما استولى على إفريقيـة ، وأخضع له من عصاه ، ولم ير منه ما يسره ، فاتفق مع جماعة من أهل القيروان على قتله فقتله سنة ١٣٨ هـ واستولى على إمـــارة إفريقية عاماً وستة أشهر . ثم قتله ابن أخيه حبيب بن عبد الرحمن بثأر أبيه . وهو أخو عبدالرحمن بن عقبة بن نافع .

ولما رجع عبد الرحمن من الأندلس سنة ١٢٧ هـ وتنـازل له حنظلة بن أبي صفوان عن القيروان في جمادى الاولى سنة ١٢٩ هـ عين أخاه إلياس والياً على طرابلس . واستولى عبد الرحمن على إفريقية كلها ، واستقل بها عن الامويين في آخر أيامهم .

وفي سنة ١٣١ هـ جدد عبد الرحمن سور أطرابلس من جهـة البر ، وانتقل الناس اليها من كل مكان .

وفي سنة ١٣١ هـ قتل مروان بن محمد آخر خلفاء بني أُمية ، وانقرضت دولة بني أُمية من المشرق ، بعـد أن ملكت إحدى

وتسعين سنة ، وتسعة أشهر ، وخمسة أيام . وتولى الملك فيها أربعة عشر خليفة . وظهرت على أعقابها دولة بني العباس . وصدق الله العظيم إذ يقول : (وتلك الأيام نداولها بين الناس) .

وكان إلياس بن حبيب آخر والٍ على طرابلس للامويين ، وأول والٍ للعباسيين .

عَهْدُ العَبّاسيّين

وفي سنة ١٣٤ هـ تولى الخلافة أبو العباس السفاح ، وهو أول خليفة في الدولة العباسية فأقر ولايـــة عبد الرحمن بن حبيب على افريقية .

ولما كان إلياس بن حبيب واليـــاً على أطرابلس كان رئيس الاباضية عبد الله بن مسعود التجيبي، فقبض عليه إلياس وقتله، وغضب الاباضية لذلك . ولم يقع ما فعله إلياس موقع الرضا من أخيه عبد الرحمن .

- ١٥ -

حميد بن عبدالله العكي

وأراد عبد الرحمن أن يسترضي الاباضية فأقال أخاه إلياس من ولاية أطرابلس ، وولى عليها حميد بن عبدالله العكّي . ولكن هذا لم يُرض الاباضية ، وأخذوا يلتمسون أسباب الثورة للانتقام من إلياس بن حبيب . وثاروا على العكي. وترأس ثورتهم عبد الجبار بن قيس . فخرج العكي لمحاربتهم ، فحاصروه في بعض القرى، وطلب منهم الأمان فأمنوه ، وأخذوا من أنصاره نصير بن راشد ، فقتلوه في عبدالله بن مسعود التُّجيبي .

وانقطعت أخبار العكي بعد أن أمنه البربر ولا ندري ما فعل البربر به .

- ١٦ -

يزيد بن صفوان المعافري

ولما عجز المكي عن التغلب على البربر ، ولـّى عبد الرحمن ابن حبيب يزيدَ بن صفوان على أطرابلس بدلاً عنه .

واستمر البربر في ثورتهم حتى استولوا على كل أطرابلس بقيادة عبد الجبار بن قيس. وكان الحارث بن تليد أحد رؤساء البربر ، فاختلف مع عبد الجبار ، فاقتتلا فقتلا معاً . وكان قتلهما مما أضعف ثورة البربر ، وولوا عليهم إسماعيل بن زيان النفوسي .

- ١٧ -

عمرو بن سويد المرادي

ولاّه عبد الرحمن بن حبيب والياً على أطرابلس بعد أن افتكها من اسماعيل بن زياد النفوسي وبقي والياً عليها الى أن ثار البربر برياسة عبد الأعلى بن عبدالرحمن بن السمح (أبو الخطاب) فاحتل طرابلس سنة ١٤٠ هـ (١) وقبض على عمرو بن سويد ، فخيره بين البقاء مع الأمان، والخروج، فاختار الخروج، وسافر الى المشرق .

(١) هذه رواية الشماخي . ويقول غيره : إنه دخل طرابلس في صفر سنة ١٤١ هـ .

- ١٨ -

عبدالله بن رحيمة

ولما استولى أبو الخطاب على أطرابلس ولـّى عليها عبدالله بن رحيمة ، وولى على سرت عمر بن يَيَكْـتن واستولى أبو الخطاب على القيروان سنة ١٤١ هـ ، وأصبحت القيروان وطرابلس تحت حكمه . وهو من أئمة الاباضية المشار اليهم بالعلم والتقوى .

وكانت له حروب [١] مع أبي جعفر المنصور في إفريقيـــة بقيادة محمد بن الأشعث . وقتل أبو الخطاب سنة ١٤٤ هـ واستولى ابن الأشعث على إفريقية لأبي جعفر المنصور .

(١) ذكرنا بعض حروبه في (الفتح العربي) انظر ص ١١٩ - ١٢٤ .

- ١٩ -

المخارق بن غفار الطائي

ولمـــا استولى ابن الأشعث على طرابلس ، بأمر أبي جعفر المنصور ولـّى عليها المخارق بن غفار الطائي ولما ولـّى أبو جعفر المنصور الأغلب بن سالم التميمي على إفريقية بدل محمد بن الأشعث في جمادى الآخرة سنة ١٤٨ هـ أبقى الأغلب المخارق في عمله على أطرابلس .

وبعد موت الأغلب بن سالم في شعبان سنة ١٥٠ هـ اجتمعت كلمة الناس على المخارق بن غفار، والي أطرابلس، فولوه أمرهم، وقام بأمر إفريقية ما عدا تونس .

- ٢٠ -

الجنيد بن بشّار الأسدي

ولاه على أطرابلس عمرو بن حفص بن قبيصة أول والٍ على إفريقية من آل المهلّب ، ولاه عليها أبو جعفر المنصور سنة ١٥١ هـ . وفي سنة ١٥٣ هـ ثار على الجنيد برابرة طرابلس برياسة يعقوب بن لبيب الإباضي ، وكنيته أبو حاتم . فأمد عمرو بن الجنيد بالمحاربين لمحاربة يعقوب . ولكن كثرة البربر تغلبت على الجنيد وأصحابه ، واحتل أبو حاتم أطرابلس ، واستولى على القيروان في ذي الحجة سنة ١٥٤ هـ .

وفي سنة ١٥٥ هـ ولّى أبو جعفر المنصور يزيد بن حاتم [١]

---

(١) هو يزيد بن حاتم ، بن قبيصة ، بن المهلب . وكنيته أبو خالد ، كان شجاعاً مقداماً ، ذا نجدة ومروءة ، وكان شبيهاً بجده المهلب بن أبي صفرة في الكرم والشجاعة . وكان من خواص المنصور ووجوه ولاته ... وآل المهلب بيت عربي ، عريق فى المجد ، له المكانة الأولى في أيام العرب ووقائعهم ، ورثوا الكرم والشجاعة كابراً عن كابر . وكانت لهم المكانة الممتازة أيام الدولتين : الأموية والعباسية . وكان لهم المقام الأول في حرب الخوارج .

على إفريقية . ولما وصل يزيد الى أطرابلس التقى بجيش يعقوب أبي حاتم ، وأسفرت المعركة عن هزيمة أبي حـاتم الإباضي ، وفرّ إلى الجبل،وأدركته الخيل في جندوبه فقتل في نفر من أصحابه، وتفرقت جموع البربر ، واستولى يزيد على أطرابلس .

- ٢١ -

سعيد بن شدّاد

ولاه على أطرابلس يزيد بن حاتم أمير إفريقية من قبل أبي جعفر المنصور .

وفي سنة ١٥٦ هـ أيام ولاية سعيد بن شداد على أطرابلس ثار ابن قرياس الهواري (أبو يحيى) ، فتصدى له عبدالله بن السمط الكندي بجيش من الطرابلسيين ، فأسفرت المعركة عن هزيمة ابن قرياس ، وتم الأمر في إفريقية ليزيد بن حاتم وضبَط أُمورها .

- ٢٢ -

يحيى بن موسى

ولاه على أطرابلس الفضلُ بن روح بن حاتم الذي ولاه الرشيد على افريقية سنة ١٧٧ هـ ، ولما ثار الجند على الفضل سنة ١٧٨ هـ بزعامة عبد الله بن الجارود بقي يحيى على ولايته على طرابلس . وقتل الفضل في هذه الثورة واستولى ابن الجارود على القيروان واستبد بافريقية ، وكانت ثورة ابن الجارود على غير رضى من الرشيد ، فكتب ابن الجارود الى يحيى والي طرابلس يستدعيه الى القيروان ليسلم له مقاليد الحكم فيها فخرج يحيى من طرابلس بمن معه ، وتلقاه الجند في قابس فرحاً به .

وخرج ابن الجارود من القيروان وسلمها الى يحيى بن موسى. وذهب الى المشرق ليعتذر لدى الرشيد عن قتل الفضل، ولكنه لم يقبل منه كما لم يقر ولاية يحيى بن موسى على القيروان ، وعين عليها هرثمة بن أعيُن سنة ١٨٩ هـ ، ووصل اليها في ربيع الأول من هذه السنة .

- ٢٣ -

سفيان بن أبي المهاجر

ولاه على أطرابلس هرثمةُ بن أعيَن الذي ولاه الرشيد أميراً على افريقية سنة ١٧٩ هـ . وأمر هرثمة ببناء سور المدينة من جهة البحر ، وكانت قبل ذلك غير مسورة من هذه الناحية . وأمر كذلك ببناء القصر الكبير ليرابط به الجند (١) .

وكان سفيان بن أبي المهاجر آخر والٍ على أطرابلس يعين من قبل العباسيين .

وانتهى حكم العباسيين على إفريقية سنة ١٨٤ هـ .

(١) لا يبعد أن يكون هذا القصر هو أصل السراية الحمراء ، ثم زيد فيه على مر السنين ، واتخذ مقراً للولاة الذين تعاقبوا على مدينة أطرابلس .

دَوْلَةُ الأَغَالِبَة

وفي سنة ١٨٤ هـ قامت دولة الأغالبة في إفريقية فأقروا ولاية سفيان بن أبي المهاجر على أطرابلس فهو أول والٍ عليها من قبل الأغالبة .

ودولة الأغالبة في إفريقية دولة عربية مستقلة عن العباسيين استقلالاً ادارياً داخلياً ، مع الارتباط بالسياسة العباسية الخارجية العامة .

وأول أمير رأس هذه الدولة هو ابراهيم بن أبي العرب ، الأغلب ، بن سالم أبي عقال ، بن خفاجة التميمي . ولاه الرشيد واشترط لنفسه أن يستقل بإدارة إفريقية ، وأن يرثها أبناؤه من بعده ، فوافقه الرشيد على ذلك (١) .

وأقر ابراهيم بن الأغلب سفيان بن أبي المهاجر على ولاية أطرابلس. ويظهر أن أهل طرابلس كانوا غير راضين عن سفيان ابن أبي المهاجر فثاروا عليه سنة ١٨٩ هـ بزعامة ابراهيم بن سفيان التميمي فقتلوا أصحابه، وأمنوه على أن يخرج من طرابلس فخرج.

---

(١) انظر سيرة هذا الرجل وابتداء دولته في كتابنا (الفتح العربي في ليبيا)

- ٢٤ -

إبراهيم بن سفيان التميمي

عينه أهل أطرابلس واليـــاً عليهم بعد أن طردوا سفيان ابن أبي المهاجر. ولكن ابراهيم الأغلب لم يقر عمل أهل طرابلس، فهاجم طرابلس واستولى عليها، وقبض على ابراهيم بن سفيان فعاهده على الطاعة وعفا عنه وأقره على ولاية أطرابلس .

- ٢٥ -

عبد الله بن ابراهيم الأغلب

ابن سالم التميمي – أبو العباس – ثالث الأغالبة من امراء افريقية . وليها بعد وفاة أبيه وبعهد منه سنة ١٩٦ هـ . وكانت أيامه في القيروان وأطرافها أيام دعة وسكون .

قـال الباجي : وكان حسن الصورة قبيح السيرة .. وكان شديداً جماعاً للأموال اشتكى الناس من جوره الى أن مات سنة ٢٠١ هـ .

وكنيته أبو العباس . ولاه والده على طرابلس سنة ١٩٦ هـ فثار به جندها وأخرجوه منها . ثم جمع لهم وهجم على طرابلس فاستولى عليها. وكان والده غير راض عنه فعزله ، وولـّى بدله سفيان بن أبي المهاجر .

سفيان بن ابي المهاجر

عينه ابراهيم الأغلب والياً على طرابلس . وهذه هي المرة الثانية يتولى فيها ولاية طرابلس .

وكان بينه وبين أبي منصور حاكم جبل نفوسة خلاف ، فثار البربر عليه سنة ١٩٦ هـ ليلحقوا طرابلس بجبل نفوسة ، تحت حكم أبي منصور . فخرج اليهم سفيان ، والتقى بهم في وادي الرمل ، فتغلبوا عليه وطاردوه حتى دخل المدينة ، فاقتحموها عليه فخربوها وهدموا أسوارها .

وبلغ الخبر الى ابراهيم بن الأغلب في تونس فأرسل ولده عبدالله في جيش كبير ، فتغلب على البربر واسترد المدينة ، فاستغاثت هوارة بعبد الوهاب بن رستم إمام الإباضية وحاكم تيهرت ، فاستجاب لهم ، واجتمع عليه البربر من هوارة وغيرهم ، وحاصروا عبد الله ابن الأغلب في المدينة . واستمات ابن الأغلب في الدفاع عنها . وسد باب زناتة [1] ، وصار يدافع من باب

(١) هو الباب الجديد ، فتحه نديم باشا سنة ١٢٨٢ هـ .

هوارة – وهو الذي يُدخل منه الى سوق المشير .

وفي أثناء حصار عبدالله بن الأغلب في طرابلس توفي والده ابراهيم [١] ، فصالح ابن رستم على أن تكون المدينة داخل السور والبحر لابن الأغلب، ويكون خارج السور الى سرت لابن رستم.

ولما مات والده ابراهيم عهد اليه بالامارة فولى على طرابلس سفيان بن أبي المهاجر ورجع الى القيروان سنة ١٩٧ هـ .

ولم تطل امارته على افريقية . ومات ليلة ١٦ من ذي الحجة سنة ٢٠١ هـ .

وتولى بعده إمارة أفريقية أخوه زيادة الله بن الأغلب [٢] . وكان مستهتراً ، مسرفاً في ملذاته ، فساءت حاله ، وانتقضت عليه كل افريقية ما عدا طرابلس وقابس والقيروان . وتوفي يوم ١٤ من رجب سنة ٢٢٣ هـ .

وتولى بعده اخوه الأغلب بن ابراهيم [٣] ، وأبقى سفيان ابن أبي المهاجر والياً على طرابلس ، وثارت عليه قبائل زواغة ولواتة من برابرة طرابلس فقتلوا سفيان عامله على طرابلس .

---

(١) كانت وفاته في شوال سنة ١٩٦ هـ وعمره ٥٦ سنة . وولايته اثنتا عشرة سنة وأربعة أشهر .

(٢) يقال ان خراج افريقية بلغ فى زمنه ثلاثة عشر الف مليون دوهم .

(٣) ما زال بالثوار حتى تغلب عليهم. وتوفي في ربيع الآخر سنة ٢٢٦هـ.

- ٢٧ -

عبد الله بن محمد الأغلب

ولاه أخوه احمد والياً على أطرابلس سنة ٢٤٥ هـ وفي هذه السنة ثار برابر طرابلس على أحمد ومنعوا عنه مـا كانوا يؤدونه من الجبايات والعشور ، وحاصروا عبد الله في طرابلس ، فذهب الى لبدة وتحصن بهـا . وكاتب أخاه أحمد في القيروان ، واتفقا على أن يرسل كل منهما جيشاً للاطباق على طرابلس من الشرق والغرب ، وتم ذلك ، ودارت معارك هائلة بينهما وبين البربر ، فهزم البربر . وتم الأمر لعبد الله في طرابلس ، ولأخيه أحمد في القيروان .

ابن قهرب

كان ابن قهرب [1] عاملاً على برقة من قبل الأغالبـة . وفي سنة ٢٦٧ هـ غزا العباس بن أحمـد بن طولون طرابلس ، ومر في طريقه اليها ببرقة ، فوجد فيها ابن قهرب فلم يقدر على مواجهة ابن طولون ففر الى تونس . وأخبر ابراهيم بن الأغلب بخبر ابن طولون فجهز نحو عشرة آلاف فارس برياسة ابن قهرب ، وأدرك به أطرابلس قبل أن يدركهـا ابن طولون ، وأخذ قسماً من جيشها وعسكر في لبدة في انتظار ابن طولون .

ووصل ابن طولون الى لبدة ، وتغلب على ابن قهرب . وعاث في بادية طرابلس فساداً ، وكتب الى إلياس بن منصور الاباضي رئيس الاباضية في جبل نفوسه يأمره بتسليم نفسه — وكان الياس غير خاضع لحكم الأغالبة فجهز الياس جيشاً والتقى بابن طولون في قصر حاتم [2] سنة ٢٦٧ هـ فهزم ابن طولون شر هزيمـة ،

(١) لم نطلع على من ذكره بغير هذه الكنية أو ذكر اسمه .
(٢) وادي الحواتم موجود بترهونة وبه بقـايا أبنية لا يبعد أن تكون بقايا قصر حاتم .

وأخذ أهل طرابلس كل مـــا معه من أموال ، ولم يأخذ إلياس ابن منصور رئيس الاباضية شيئاً منهـــا ، لأنه يرى حرمة أموال البغاة من الموحدين ، وإباحة دمائهم ما داموا محاربين لهم ، ولا يستبيحونها في حال السلم .

وبعـــد أن انتهت حرب ابن طولون بقي ابن قهرب في أطرابلس . وكان البربر ناقمين على حكم الأغالبة في افريقية وفي سنة ٢٦٩ هـ ثار عليه البربر وقتلوه. فجهز لهم ابراهيم بن الأغلب جيشاً بقيادة ابنه عبد الله، فتغلب عليهم واستولى على طرابلس.

احمد بن عبدالله الاغلب

ولاه أخوه زيادة الله والياً على أطرابلس ولم نطلع له على أعمال تذكر . وهو آخر وال على أطرابلس من الأغالبة .

وقد أصيبت دولة الأغالبة في عهد زيادة الله بالانحلال الخلقي . . وفي أيامه ظهر أبو عبدالله الداعي لدولة العبيديين . فكان ما فيه زيادة الله من اللهو والانشغال عن واجبات الملك من أقوى الأسباب في انتشار دعوة العبيديين . ولما أحس بالعجز عن مقاومتها – وكان يقيم برقّادة – جمع أهله وأمواله وهرب الى مصر في ٢٦ من جمادى الآخرة سنة ٢٩٦ هـ وأخذ معه أخاه أحمد والي طرابلس . وذهب الى بغداد ، ورجع الى مصر ، ثم ذهب الى فلسطين ، ومات بالرملة .

وهو الثاني عشر من امراء الأغالبة بافريقية ، وآخر أمير وليها ، وهو ثالث من سمي زيادة الله ، وبموته انقرضت دولة الأغالبة من افريقية بعد أن ملكتها مائة واحدى عشر سنة وثلاثة أشهر [١] . وتولى الحكم فيها اثنا عشر أميراً أولهم

---

(١) وقيل ١١٢ سنة و ٥ أشهر و ١٤ يوماً .

إبراهيم الأول ، وآخرهم زيادة الله الثـالث . والملك لله يؤتيه من يشاء .

●

قال ابن خلدون: (وكان انقراض دولة بني الأغلب آخر عهد العرب بالدولة والملك في افريقية ، وذهبت ريحهم ، فلم تقم لهم بعد ذلك . وصار الملك للبربر وقبائلهم ، يتداولونه طائفة بعد اخرى ، يدعون الى الخلفاء الأمويين بالاندلس تارة ، ويدعون الى الهاشميين من بني العبـاس وبني الحسن اخرى . ثم استقلوا آخر الأمر بالدعوة لأنفسهم) .

عَهْدُ الفاطميّين

- ٣٠ -

ماكنون بن ضبارة اللحياني

أول وال على طرابلس لدولة العبيديين ، ولاه عبيد الله المهدي. وانتهز البربر فرصة العهد الجديد وعدم استقرار الامور فثاروا على ماكنون ، وحاصروا أطرابلس ، فتحصن ماكنون بداخل السور . وأرسل عبيدُ الله نجدة لماكنون فحاربت من كان خارج السور وانتصرت عليهم . وأمِن ماكنون ثورة البربر ، فتطاول في الحكم وبسط أيدي بني عمه من كُتامة في أموال الناس وامتدت الى حرماتهم ، فثار به أهل طرابلس سنة ٣٠٠ وأخرجوه منها فلحق بالمهديّ في رقّادة[1] ، وأغلق أهل طرابلس أبواب المدينة وقتلوا أنصار ماكنون من كتامة .

(١) مدينة بافريقية تقع جنوبي القيروان بنحو ستة أميال . بناها ابراهيم ابن أحمد الأغلب سنة ٢٦٣ هـ . ووقعت فيها حروب طاحنة بين أبي الخطاب وقبيلة ورفجومة . وقتل من ورفجومة خلق كثير . ويقال إنها سميت رقادة لكثرة ما رقد فيها من القتلى في هذه الملحمة .

محمد بن اسحاق القرشي

لما طرد الطرابلسيون ماكنون، ولـّوا عليهم محمد بن اسحاق القرشي . ويلقب بابن القرلين، واستاء عبيد الله المهدي من عمـل أهـل طرابلس فأرسل اليهم جيشاً بطريق البحر ، فتلقاه الطرابلسيون فأحرقوه وقتلوا من فيه .

فأرسل اليهم عبيد الله جيشاً بطريق البر بقيادة ابنـه أبي القاسم في جمادى الأولى سنة ٣٠٠هـ وحاصر طرابلس المدينة حتى فني ما بها من أقوات ، فطلب أهـل طرابلس الصلح ، فأجيبوا اليه على أن يسلموا محمد بن اسحاق ، فقبلوا ذلـك ، وسلموه لأبي القاسم الشيعي ، ودخل أطرابلس ، وقتل من فيها من الأغالبة ، وفرض على أهل أطرابلس غرامة قدرها ثلاثمائة ألف دينار .

وبعد أن استقر الحال في طرابلس رجع أبوالقاسم الى رقـّادة ومعه محمد بن اسحاق ، فقتله بعدما شهر به في شوارع المدينة .

وعلم عبيدالله المهدي أنه ما زالت بقايا من فلول الأغالبـة

والعباسيين في سرت وبرقة، فجمع جيشاً بقيادة حباسة بن يوسف فاحتل سُرت وأجدابية وبرقة . ونكل بأهلها ، وقتلهم شر قتل، وشوى لحومهم ، وأحرقهم . وكان حباسة قاسياً لا تعرف الرحمة الى قلبه سبيلاً .

زيّان الصَّقِلِّي

كنيتـه أبو الفتوح . ولاه إسماعيل المنصور عاملاً عـلى أطرابلس . وعنى بإصلاح سور المدينـة ، وزاد فيـه من جميع جهاته البرية والبحرية سنة ٣٤٥ هـ وقام بأعباء الحكم خير قيام .

●

- ٣٣ -

باسيل الصَّقِلِّي

ولاَّه المعز لدين الله عاملاً على سُرت سنة ٣٤٢ هـ وولَّى على أجدابية ابن كافي الكُتَامي . وولَّى على برقة وأعمالها أفلح الناسب .

●

عبدالله بن يخْلف الكُتامي

لما أراد المعز لدين الله الانتقال الى مصر في صفر ٣٦٢ هـ ولاّه على أطرابلس وسرت وبرقة. وكان مقر ابن يخلف طرابلس[١]. ودخل المعز طرابلس - وهو في طريقه الى مصر - يوم الاربعاء ٢٤ من ربيع الأول سنة ٣٦٢ هـ ، ورحل عنها يوم ١٧ من ربيع الآخر ، بعد أن بقي فيها ٢٢ يوماً .

وعبدالله بن يخلف الكتامي آخر والٍ على طرابلس من دولة الفاطميين التي دامت ٢٦٠ سنة [٢] منها اثنتان وخمسون سنة بالمغرب ، ومائتان وثمان سنوات بمصر . وعدد خلفائها أربعة عشر خليفة ، أولهم عبيد الله المهدي ، وآخرهم العاضد الذي توفي بمصر يوم عاشوراء سنة ٥٦٧ هـ . وبموته انقرضت دولة العبيديين (الفاطميين) من الشرق والغرب .

---

(١) بقي يخلف والياً على هذه المقاطعات الى أن مات المعز وتولى بعده العزيز بالله فطلب منه بلكين أن يضيفها اليه ففعل ، ورحل ابن يخلف عن طرابلس .

(٢) في هذا التاريخ خلاف بين المؤرخين .

عَهدُ الصَّهناجيّين

- ٣٥ -

عوصلة بن بكار

أول والٍ على أطرابلس للدولة الصنهاجيـــة ولاه بلكين بن زيري بدلاً من عبـــد الله بن يخْلف . وعوصلة هـــذا من موالي بلكين (١) .

ولما توفي بلكين وتولى بعده ابنه المنصور ، أقر عوصلة عاملا على أطرابلس .

وفي سنة ٣٨١هـ ختن المنصور بن بلكين ولده باديس،فأرسل اليه عوصلة عامله على أطرابلس هدية فيها مائة حمل من المال . وقد يدل هذا على ما في طرابلس من رخاء وثروة .

ولما توفي المنصور بن بلكين سنة ٣٨٦ هـ تولى امارة إفريقية بعده ابنه باديس في هذه السنة وأقر ولاية عوصلة على طرابلس.

---

(١) يكتب بالقاف وبالجيم . وقيل يقرأ بالكاف المعطشة التي تخرج بين الكاف والقاف . وضبطه في خلاصة تاريخ تونس بضم الباء الموحـــدة واللام وتشديد الكاف .

استخلفه المعز على إفريقية في شوال سنة ٣٦١ هـ . وتوفي في ٢٣ من ذي الحجة سنة ٣٧٣ هـ ومدة حكمه اثنتا عشرة سنة .

وطلب عوصلة من المنصور خليفة مصر أن يعفيه من ولاية أطرابلس ، ويأذن له بالالتحاق به في مصر ، فأعفاه وأذن له بالالتحاق به . ويقال انه كان لعوصلة نحو ستين ولداً بين ذكر وأنثى ودام في الحكم ٢٩ سنة .

وقبل أن يسافر عوصلة الى مصر سلم ولاية طرابلس الى يانس الصقلي بإذن من الحاكم بأمر الله حاكم مصر .

●

- ٣٦ -

يانس الصقلّي

أُسندت ولاية أطرابلس بإذن من الحاكم بأمر الله حاكم مصر. وقدم الى طرابلس سنة ٣٩٠ هـ . ولم يستشر الحاكم بأمر الله باديس بن المنصور أمير إفريقيـة . واعتبر يانس نفسه معيناً من قبل حاكم مصر، وإن كان تابعاً في الادارة لأمير إفريقية باديس. واستولى يانس على كل ما تركه عوصلة بطرابلس .

ولما طلب منه باديس أن يطلعه على عهـد الحاكم له بولاية طرابلس امتنع لاعتماده على مكانته عند الحاكم بأمر الله . فأرسل اليه باديس جعفر بن حبيب سنة ٣٨٩ هـ لقتـاله . وكتب اليه جعفر يدعوه للتفاهم مع باديس ، ولكنه أبى ، فخيره جعفر بين ثلاث : إما أن يرسل عهد الحـاكم بولاية طرابلس الى باديس ، وإما أن يقدم بشخصه الى باديس ، وإما أن ينـاجزه الحرب ، فركب يانس رأسه واختار الحرب . فزحف اليه جعفر والتقى به في زنزور ، وكانت الهزيمة على يانس ، وقتل أكثر جنـده ، وأُخذ أسيراً ، ثم قتل وأُخذ رأسه الى جعفر ، ورجع من بقي من جيشه الى طرابلس .

- ٣٧ -

فتّوح بن علي

لما قتل يانس اجتمعت فلول جيشه التي رجعت الى مدينة طرابلس ، وقدموا عليهم فتوح بن علي ، وهو من أنصار يانس ، وتقدم جعفر بجيشه الى المدينة وحاصرها مدة فلم ينل منها شيئاً.

وفي أثناء حصاره لها بلغه أن فلفل بن سعيد وصل قابس يريد غزو طرابلس وافتكاكها منه ، فارتحل عنها الى الجبل ، وقد ضاقت بهم الحال فارتحلوا الى قابس ، وتخلى فلفل عن طريقهم فدخلوها . واستمر فلفل في طريقه الى أن دخل أطرابلس. وسلمها له فتوح بن علي، وبقي مع فلفل في طرابلس.

بَنوخَزرون

- ٣٨ -

فُلْفُل بن سعيد

أول والٍ على طرابلس من بني خزرون . وبنو خزرون اسرة بربرية نسبها في زناته . وسعيد بن خزرون والد فلفل كان من ملوك مغزاوه البرابر ، ومن مشاهيرهم ، توفي سنة ٣٨٢ ﻫ .

وتعتبر ولاية فلفل على طرابلس فاتحة عهد جديد لما يمتاز به من قوة في الارادة ، واستقلال في الرأي .

تولى فلفل ولاية أطرابلس في رجب سنة ٣٩١ ﻫ وقد افتكها من الصنهاجيين بالقوة ، واستقل بها عنهم . ووقعت حروب بين فلفل وباديس بن المنصور [1] دامت نحو سنتين . وأراد فلفل أن تكون طرابلس تابعة للحاكم بأمر الله في مصر ، فأرسل اليه بطاعته سنة ٣٩١ ﻫ فقبل طاعته ، ولكنه لم يقر ولايته على طرابلس .

---

(١) باديس بن المنصور بن بلكين بن زيري بن عطية . وبلكين هذا أول أمير على إفريقية من الصنهاجيين عينه عليها المعز لدين الله لما انتقل الى مصر سنة ٣٦١ ﻫ ولم ترض زناتة بهذا التعيين . ووقعت بينهم وبين الصنهاجيين حروب كثيرة .

- ٣٩ -

يحيى بن حمدون الأندلسي

عيّنه الحاكم بأمره والياً على طرابلس وقابس ، وهو بمصر ، ووصل الى طرابلس في التاسع من ربيع الأول سنة ٣٩٢ هـ ، فقابله فلفل بالطاعة ، وارتحل معه الى قابس لافتكاكها من جعفر بن حبيب فلم يمكنهم ذلك فرجعوا الى أطرابلس .

وأقام يحيى في طرابلس الى سنة ٣٩٣ هـ إلا أن فلفل استولى على الأمور ، وأصبح يحيى لا يملك منها شيئاً ، وبلغت مضايقة فلفل ليحيى الى أن أخذ كثيراً من خيله وخيل أصحابه ، فاستاء يحيى لذلك ، ورجع الى مصر سنة ٣٩٣ هـ ، وأبلغ الحاكم بأمر الله معاملة (فلفل) له ، فاستاء الحاكم لذلك ، واشتد غضبه على فلفل .

واستقل فلفل بطرابلس ، وأصبح بين عدوين : الحاكم بأمر الله في مصر ، وخليفته باديس بافريقية ، فلم تسترح نفسه لهذا الوضع المهدد بالخطر في كل وقت . فأرسل الى المهدي محمد بن هشام حاكم قرطبة يستنجده ويعده بالطاعة . ولم تطل الحياة بفلفل ، فمات سنة ٤٠٠ هـ قبل أن ترجع اليه رسله من قرطبة . ودام حكمه في طرابلس نحو عشر سنوات . وفي أيام فلفل كانت برقة تابعة لمصر .

- ٤٠ -

وُرُّو بن سعيد (١)

هو أخو فلفل . ولما مات فلفل – وما زالت طرابلس مستقلة عن باديس – اجتمعت زناتة وولّوا وُرُّو مكانه والياً على أطرابلس. ويظهر أن باديس يعلم أن وُرُّو أضعف من فلفل، فهاجم طرابلس ، فلم يقدر وُرُّو على الدفاع ، واستسلم هو ومن معه لباديس ، وطلبوا الأمان فأمنهم ، على أن يخرجوا من طرابلس ، وأقطعهم قسنطينة ونفزاوة ، فانتقلوا اليها، ودخل باديس طرابلس ، ونزل قصر فلفل .

وقد وصلت أخبار انتصار باديس على الخزرونيين الى الحاكم بأمر الله في مصر فأرسل اليه هدايا كثيرة ، وأضاف برقة الى عمله تقديراً لما أبداه من جهد في هزيمة الخزرونيين . ووصلته الهدايا سنة ٤٠٣ هـ .

---

(١) ضبط في ج ٣ من البيان المغرب ، وفي ابن الاثير بواو مضمومة ، وراء مضمومة مشددة بدون ألف بعدها .

محمد بن الحسن

ولما استسلم وُرُّو لباديس ، ولّى باديس على طرابلس محمد ابن الحسن . إلا أن وُرُّو نقض عهده مع باديس ، وهاجم أطرابلس ، فدافع عنها محمد بن الحسن ، وانهزم وُرُّو وقتل من أتباعه كثير . وجمع شمله وأغار على طرابلس مرة ثانية .

وكان خزرون أخو وُرُّو في طاعة باديس فكلّفه باديس هو وبعض أُمراء زناتة أن يخرجوا لمحاربة وُرُّو ففعلوا . واتفق خزرون مع أخيه وُرُّو سرّاً ضد باديس ، واطّلع باديس على هذا الاتفاق ، وجاهر خزرون بانضمامه الى أخيه هو ومن معه من أمراء زناتة سنة ٤٠٤ ﻫ . وكان وُرُّو قد وضع رهائن من زناتة عند باديس فقتلهم باديس .

وتجمعت زناتة ، وضيقت الحصار على طرابلس ، واستمات محمد ابن الحسن في الدفاع عنها . ولم يقدر وُرُّو على دخول طرابلس ، ورأى من عجزه ما حمله على أن يرسل بطاعته الى باديس سنة ٤٠٥ ﻫ . ولم تطل حياة وُرُّو ، فمات في شوال سنة ٤٠٦ .

وبعد موت وُرُّو تنازع الرياسة بعده ابنه خليفة وأخوه

خزرون ، وانقسمت زناتة بينهما ، وانضم أكثرها الى خليفـة ، فحارب عمه خزرون حتى غلبه ، فذهب خزرون الى مصر واستقر بها هو وأولاده : السعيد ، وخليفة، والمنتصر.

واستمر محمد بن الحسن والياً علىأطرابلس الى أن توفي باديس بلسعة عقرب في آخر ليلة من ذي القعـدة سنة ٤٠٦ هـ وكانت مدة حكمه عشرين سنة وأشهراً .

عبد الله بن الحسن

لما آل الملك الى المعز بن باديس كان محمد بن الحسن والياً على طرابلس من قبل باديس ، فعزله المعز وولـّى أخاه عبد الله ابن الحسن .

وفي سنة ٤٠٦ هـ ثار خليفة بن وُرُّو على الصنهاجيين، وهجم على طرابلس وضيق عليها ، وطال حصاره لها . ودافع عنها عبد الله بن الحسن دفاعاً مجيداً . وعجز خليفة بن ورو عن دخولها .

وفي سنة ٤١٤ هـ تغير المعز على محمد بن الحسن لأمور أنكرها عليه فقتله ، فاستاء عبد الله بن الحسن لقتل أخيه ونقض عهده مع المعز بن باديس وأعلن عصيانه عليه في أطرابلس .

خليفة بن ورُّو

لما أعلن عبد الله بن الحسن عصيانه على المعز بن باديس كان خليفة بن ورو ما زال ثائراً على المعز، فاتفق مع عبدالله بن الحسن وفتح له مدينة طرابلس فدخلها سنة ٤١٤ هـ .

لكن خليفة بن ورو مـا زال حاقداً على عبد الله بن الحسن لأنه لم يمكنه من دخول المدينة حينما كان تابعاً للمعز بن باديس ، فلم يلبث أن قبض عليه وقتله ، واستولى على قصره بمـا فيه من مال ومتاع حتى نسائه وبناته ، واتخذه مقراً له ، ونادى بنفسه والياً على طرابلس .

وقد شعر خليفة أنه بـين عدوين : العبيديين في مصر ، والصنهاجيين في افريقية، فكتب الى الظاهر الفاطمي سنة ٤١٧هـ في مصر يعده بالطاعـة فقبل منه ، وأرسل الى ابن باديس بهدايا فقبلها، ووصله ابن باديس بهدايا مثلها، فأمن جانبهما وتم له الأمر في طرابلس .

- ٤٤ -

سعيد بن خزرون

سعيد هذا ابن خزرون أخي وُرُّو الذي تغلب عليه عبدالله ابن ورو وذهب الى مصر. وقد جاء من مصر سنة ٤٣٣ ﻫ للأخذ بالثأر من ابن عمه خليفة بن ورو والي طرابلس لأنه حارب والده حتى اضطره الى الخروج الى مصر .

أقام سعيد بضواحي طرابلس يؤلب البربر على ابن عمه خليفة ، فاستجابت له زناتة ، وهاجم مدينة طرابلس في جموع كثيرة . وعجز خليفة عن الدفاع عن المدينة ، فنجا بنفسه ، ودخل سعيد المدينة وبقي والياً عليها الى أن قتل سنة ٤٤٦ ﻫ .

- ٤٥ -

خزرون بن خليفة

خزرون هذا حفيد وُرُّو. وقد قتل والده خليفة بعد أن فر أمام سعيد بن خزرون بن سعيد. وجاء ذكره فيمن تولى طرابلس بعد سعيد بن خزرون الذي جاء من مصر بعد أن فر اليهـا مع والده . ولا ندري مـــن ولاه على طرابلس ولا كيف وصل اليه الحكم .

وفي أيامه كان مذهب الشيعة العبيديين مـا زال منتشراً في طرابلس، فثاروا عليه بزعامة الاستاذ أبي الحسن علي بن المنمّر، ونبذوا بدعهم الممقوتة. واعتنقوا مذهب مالك كبقية افريقية. وبقي خزرون بن خليفة والياً عليها الى سنة ٤٥٠ هـ

المنتصر بن خزرون بن سعيد

المنتصر هذا أحد أولاد خزرون الثلاثة الذين فرّ بهم والدهم الى مصر .

وفي ربيع الأول من سنة ٤٥٠ ﻫ جاء الى أطرابلس في جموع كثيرة لينتزعها من خزرون بن خليفة بن ورو ، فلم يقدر خزرون على الدفاع عنها ، ففر وترك طرابلس ، فاحتلها المنتصر .

ولما ثار الطرابلسيون على الشيعة العبيديين في طرابلس كانوا يدينون بالطاعة لخزرون حفيد ورو . ولما تغلب المنتصر على خزرون حفيد ورو ، وتولى طرابلس نكل بالطرابلسيين لأجل ثورتهم على العبيديين ، وقبض على زعيمهم الأستاذ علي أبي الحسن المنمر ونفاه الى غنيمة ببلاد مسلاتة (١) .

وقويت شوكة المنتصر فغزا قلعة بني حماد ، فخرج له الناصر من بني حماد وطرده حتى دخل الصحراء . وأغرى به من يقتله ، فقُتِلَ غيلة سنة ٤٦٠ ﻫ

---

(١) هي الآن تابعة لقماطة مديرية قصر خيار .

- ٤٧ -

خليفة بن خزرون

هو أحد أولاد خزرون الثلاثة الذين فر بهم الى مصر .

ولما قُتل أخوه الناصر تولّى طرابلس. وطالت مدة حكمه الى سنة ٤٨٨ هـ . وقد استبد بالناس وجار في الحكم، وصاروا يتربصون به .

- ٤٨ -

شاه ملك

رجل تركي من الأفـّاقين ، هرب من بلاده لضيم نزل بـــه ، وساقته الأقدار الى طرابلس . واتفق أن كان الناس مستائين من حكم خليفة بن خزرون ، فاستعانوا به على خليفـة وطردوه ، وبقي هو مكانه في ولاية طرابلس .

ولشاه ملك خبر طويل أتينـا على الكثير منـه في (تاريخ الفتح العربي) يجد فيه الانسان سيرة الرجل المخـادع الذي لا يعرف الفضل لأهله ولا يحترم المعروف .

وكان أميرُ إفريقية تميم بن المعز ، ولما وصلته أخبار شاه ملك في طرابلس أرسل اليه جيشاً وحاصر طرابلس حتى اضطر أهلها الى فتح أبواب السور ، واستسلم شاه ملك ومن معه ، وأُخذوا أسرى الى المهدية .

محمد بن خزرون

هو محمد بن خزرون بن خليفة بن وُرْو .. ولي طرابلس بعد شاه ملك ، وقرب منه مشيخة بني مطروح ، لما لهم من النفوذ في أطرابلس ، وأسند اليهم رياسة الجند ، وأصبح لا يصدر إلا عن رأيهم .

واستقلّ محمد بن خزرون بطرابلس ، وساعده على ذلك بنو مطروح ، ورفضوا طاعة الحسن بن علي [١] ، ومنعوا عنه أموال الجباية التي كان يأخذها من طرابلس .

وكان محمد بن خزرون يدين بالطاعة للعبيديين في مصر ، وفي سنة ٥٤٠هـ حصلت مجاعة في طرابلس، حتى اضطر بعض السكان الى الجلاء عنها ، وبدت من ابن خزرون قسوة وجور في الحكم والجباية . فتوسط بنو مطروح لديه ليخفف عن الناس بسبب ما أصابهم من المجاعة فلم يزدد إلا قسوة . فجمع بنو مطروح

---

(١) الحسن بن على بن يحيى بن تميم بن المعز بن باديس أمير افريقية ولد بسوسة في رجب سنة ٥٠٢ وتولى امارة افريقية بعد وفاة أبيه سنة ٥١٥ .

النـــاس حولهم وثاروا عليه وأخرجوه هو وشيعته من المدينة ، ونقضوا بيعة الحسن بن علي ، وفر محمد بن خزرون وأنصاره الى البادية واحتموا بسكانها من العرب والبربر .

ومحمد بن خزرون هذا آخر وال على أطرابلس من بني خزرون. وبطرده من طرابلس انقطع أمرهم ودالت دولتهم .

ولم يتم الأمر لبني مطروح ، فقد ثار عليهم السكان وأخرجوهم من المدينة .

وانتهز رجار الصقلي فرصة الفتنة القائمة بين بني مطروح وغيرهم من السكان فهاجم المدينة واحتلها سنة ٥٤١ هـ وكان من سياسة رجار أن يولي على أطرابلس واحداً من أبنائها ، فولى عليهـــا رافع بن مطروح .

- ٥٠ -

رافع بن مطروح

كنيته أبو يحيى . وهو شيخ مدينة طرابلس وأحد أعيانها . وبعد أن احتل رجار مدينة طرابلس سنة ٥٤١ هـ ولاه عليها .

وتوفي رجار سنة ٥٤٨ هـ وخلفه في الحكم ابنه غاليالم، وسمى نفسه (رجار الثاني) وأقر رافعاً على ولاية طرابلس . وكان غاليالم جائراً في حكمه شديد الوطأة على المسلمين ، فلم تطب لهم الحياة معه فصاروا يتربصون به . وكان غاليالم يملك ما بين المهدية وطرابلس ، ما عدا قابس .

وحاول رافع بن مطروح الحد من ظلم غاليالم وقسوته على السكان ، فلم يسعه إلا أن أعلن عليه الثورة في طرابلس سنة ٥٥٣ هـ وقتلوا من الفرنجة كثيراً ، وهرب من لم يدركه القتل ، وتحررت طرابلس بزعامة رافع بن مطروح . واتفقت كلمة أهل المدينة على أن يبقى رافع والياً كما كان مع رجار ، وبقي رافع ابن مطروح اثنتي عشرة سنة وهو يدين بالطاعة لرجار .

عَهْدُ المُوَحِّدين

وكانت دولة الموحدين [1] قـد ثبتت في افريقية وانتشرت دعوتها في الشمال الافريقي . وقد رأى رافع بن مطروح أن من الخير مسالمة هذه الدولة الجديدة ، فبقي ينتظر الفرصة للاتصال بها . ودخلت طرابلس في طاعة الموحدين سنة ٥٥٤ ﻫ

ولما فتح الموحدون المهدية سنة ٥٥٥ ﻫ وأجلوا عنهـا غاليالم ذهب ابن مطروح في وفد من أعيان الطرابلسيين الى المهديةلمقابلة عبد المؤمن شيخ الموحدين ، وليقدم له الطاعة مشافهة ، ويجدد له العهد ، فقبل منه ، وأكرم وفادته ، وأقره والياً على أطرابلس وهو أول وال على طرابلس من قبل الموحدين ، وبقي والياً عليها من قبلهم الى أن هرم وعجز عن القيام بأعباء الحكم أيام يوسف ابن عبد المؤمن ، فطلب منه أن يعفيه من الحكم ، وأن يأذن

(١) أسسها المهدي بن محمد بن تومرت في المحرم سنة ٥١٦ ﻫ وأصله من هرغة من بطون المصامدة البربر. واسم أبيه عبدالله، وتومرت،ويعرف بالفقيه السوسي ، لأن أصله من السوس . وكان امامـــاً في طريقة الأشعرية ، وهو الذي أدخلهـــا الى المغرب . ولد بهرغة سنة ٤٩١ ﻫ وتوفى بتينمل في ١٣ رمضان سنة ٥٢٤ ﻫ ودام حكمه تسعة أعوام وثلاثة أيام .

له بالذهاب الى مصر ، فأعفـاه وأذن له ، فسافر بطريق البحر الى مصر سنة ٥٦٨ هـ ووصل الى الاسكندرية في رجب من هذه السنة ، وبقي فيهـا الى أن توفي ، وبقيت ذريته ، وكانت لهم رياسة ، وفيهم علم وأدب .

●

شرف الدين قراقش

أصله من الأرمن ، من الغُزّ . وهو من مماليك الملك المظفر تقي الدين بن أيوب، أخي صلاح الدين الأيوبي .

وفي السنة التي انتقل رافع بن مطروح الى مصر وهي سنة ٥٦٨ هـ كان الملك المظفر تقي الدين يفكر في غزو المغرب . ولكن عقبات وقفت في طريقه حالت دون تنفيذ هذه الرغبة .

وأراد قراقش أن يحقق رغبة سيده ولو بدون رضاه، فجمع جيشاً ومالاً وسافر الى المغرب . ولما تجاوز السلوم جنح الى الجنوب فاحتل سيوه وأوجله وبلاد فزان . وكانت زويلة عاصمة لدولة بني خطاب فاحتلها .

وبنو خطاب من البربر من قبيلة هوارة ؛ لذلك فهي تعرف بزويلة بني خطاب. وقبض على ملكهم محمد بن خطاب[1] وعذبه

(١) محمد بن خطاب بن يصلتن ، بن عبد الله بن صنفل بن خطاب .
وأول أمر بني خطاب في زويلة أنهم كانوا عمالا فيها للمنصور بن بلكين في سنة ٣٨١ هـ .

حتى مات . واستمر قراقش في فتح البلاد الطرابلسية حتى وصل مدينة طرابلس . وكان ينزل حولها كثير من قبائل العرب من بني سليم وبني هلال ، فدعاهم للانضمام اليه ، فاستجاب له كثير منهم ، فقويت بهم شوكته وكثر جنده .

وقبل أن يهاجم مدينة طرابلس ذهب الى جبل نفوسة فاحتله حتى لا يهاجمه أحد من خلفه. ثم تقدم الى مدينة طرابلس فحاصرها ، ولم يلبث أن احتلها لقلة ما بها من الجند والأقوات، وأصبح قراقش يملك ما بين طرابلس وفزان ، ومن جبل نفوسة الى حدود برقة الشرقية .

وقد اضطر –بسبب انضمام العرب اليه– الى كثرة الانفاق، فلجأ الى فرض الضرائب على السكان حتى أجهدهم . وكلما شعر بالحاجة الى المال ازداد قسوة في فرض الضرائب على السكان حتى افتقروا ، وتذمرت نفوسهم من قسوته عليهم .

واتخذ مدينة طرابلس مقراً له ، وبنى قصره الذي ما زالت آثاره موجودة بقرقارش . وقرقارش محرفة عن قراقش .

وتوجه الى إفريقية لمحاربة الموحدين،فالتقى بيحيى بن غانية وعلي بن غانية[1]، فاتفق معهما على الفساد وظلم العباد، فاستغاث الناس بالأمير يعقوب المنصور بن عبد المؤمن في مراكش سنة

(١) خرج هذان الأخوان من ميورقة في شعبان سنة ٥٨٠ هـ سعياً وراء الملك ، وطلباً بثأر بني تاشفين من الموحدين .

٥٨٣ هـ . فأرسل جيشاً لإنقاذ الناس من شرهم. وفي سنة ٥٨٦ هـ التقت جيوش المنصور بعصابات يحيى بن غانية وقراقش بقرب الحامّة ، فدارت الدائرة عليهم ، وفرّ قراقش وابن غانيـة الى الصحراء ، واستراحت طرابلس من حكم قراقش [1] . ثم جمع قراقش أمره واحتل قابس [2] وطرابلس .

ولم يلبث قراقش ويحيى بن غانية أن اختلفا ، وأعلن كل منهما الحرب على الآخر . وفي سنة ٥٩١ هـ سار ابن غانيـة من القيروان لمحاربة قراقش في طرابلس ، فلما أحسّ بـه قراقش خرج للقائه خارج السور خوفاً من الحصار وأناب عنه رجلاً اسمه (ياقوت) المعروف بالافتخار ، فالتقوا بوادي مُحسِن ، وهـو وادي الهَيْرة [3] ، فانهزم قراقش وفر الى الجبل ، وطـارده يحيى المَيُورْقي أياماً فلم يظفر به ، ووصل قراقش الى ودّان وسيأتي خبره ، وأنه قتله الميورقي بودان سنة ٦٠٩ هـ .

---

(١) بعد أن طرد قراقش من طرابلس ولي عليها رجلاً يقـال له (عثمان أبو دبوس) ولعثمان هذا أخبار مضطربة لذلك لم نترجم له .

(٢) كان فيها من مشايخ بني سليم نحو سبعين فقبض عليهم وقتلهم جميعاً في قصر العروسيين . منهم محمود بن طوق جد المحاميد وحميد بن جارية جـد الجواري .

(٣) (الهيرة) بفتح الهاء وسكون الياء : الأرض السهلة . ومن هـذا المعنى أخذ اسم وادي الهيرة ، لأنه يفيض في أرض سهلة منبسطة . وعلى هذا فيقرأ بفتح الهاء وسكون الياء المثناة من تحت .

ياقوت الافتخار

لما خرج قراقش من طرابلس لمحاربة يحيى بن غانية ولّى عليها ياقوت الافتخار . ولما انهزم قراقش وفر الى الجبل جاء ابن غانية الى طرابلس فمنعه ياقوت من دخولها ، وتحصن وراء السور للدفاع عنها . فحاصرها ابن غانية وطال حصاره لها . ولما لم يمكنه اقتحامها على ياقوت استنجد بأخيه عبدالله في ميورقة ، فأرسل اليه سفينتين محملتين بالجنود ، واشتد الحصار على المدينة من البر والبحر ، ولم تلبث أن احتلها ابن غانية ، فعفا عن الأهالي ، وقبض على ياقوت وأرسله الى ميورقة مكبلاً بالحديد ، وبقي مسجوناً بها الى أن استولى عليها الموحدون فخرج من السجن وذهب الى مراكش ومات هناك .

تاشفين بن الغاني

هو ابن عم يحيى بن غانية ، ولما تغلب يحيى على ياقوت الافتخار واحتل مدينة طرابلس ولّى عليها ابن عمه تاشفين .

واستمر يحيى في ثورته، واستولى على المهدية سنة ٥٩٧هـ وعلى تونس في ربيع الآخر من هذه السنة ، وخطب في هذه المدن للعباسيين ببغداد .

وفي سنة ٦٠١ هـ ثار عليه أهل طرابلس ، وأخرجوا منها عامله تاشفين بن الغاني ، فجاءهم يحيى من تونس واحتل طرابلس وخربها .

فأرسل محمد الناصر جيشاً لمحاربة ابن غانية فالتقى به في جبال تاجرّا قرب قابس ، فغُلب ابن غانية وفرّ الى الصحراء في ربيع الاول سنة ٦٠٢ هـ واستولى الناصر على المهدية التي كانت تحت حكم ابن غانية في ٢٧ جمادى الأول من هذه السنة، وزال حكم ابن غانية عن طرابلس .

عبدالله بن ابراهيم بن جامع

ولاه محمد الناصر[١] على طرابلس بعد أن زال عنها حكم ابن غانية .

وواصل ابن غانية ثوراته على الناصر أواخر سنة ٦٠٢ هـ وسنة ٦٠٣ هـ . وطارده الناصر في الأراضي الطرابلسية الى ما وراء سرت . ودخل برقة .

وعاد ابن غانية من صحراء برقة سنة ٦٠٤ لمحاربة الموحدي في إفريقية . ولما بلغ طرابلس اجتمع عليه العرب من بني سليم وبني هلال، والتقوا بجيش محمد الناصر بقيادة عبد الواحد بن أبي حفص [٢] ، في عدة معارك كانت الهزائم تلاحق ابن غانية ومن معه من العرب .

وفي مدة حروب ابن غانية مع جيش عبد الواحد بن أبي

---

(١) بويع محمد الناصر بإمارة افريقية في ١٢ من ربيع الأول سنة ٥٩٥ هـ بعد وفاة والده يعقوب المنصور .

(٢) ولاه الناصر بن المنصور الموحدي على افريقية في العاشر من شوال سنة ٦٠٣ هـ .

حفص كان قراقش يقيم بودّان، فخاف يحيى أن يأتيه من الخلف، فذهب اليه في جيش ، وحاصره في ودّان حتى استسلم ، فقتله وقتل ولده وصلبه بظاهر ودان سنة ٦٠٩ هـ وأراح الله البلاد من شره .

وبقي يحيى بن غانية الى سنة ٦٣١ هـ أو ٦٣٣ هـ وهو ثائر ، وقضى من عمره ثلاثاً وخمسين سنة في حروب متواصلة بين نصر تارة ، وهزيمة اخرى . وطاف البلاد الافريقية من سجلماسة الى حدود مصر ، سعياً وراء المجد وأُبهة الملك . ومات شريداً في برية تلمسان سنة ٦٣١ هـ أو ٦٣٣ هـ .

وبموته انقرض أمر الملثمين من إفريقية والمغرب والأندلس، وانقطع ملك صنهاجة من الأرض . انظر (الفتح العربي في ليبيا) .

عَهْدُ الحفصِيّين

يعقوب بن أبي يعقوب الهرغي

كنيته أبو عبد الرحمن، ولاّه الأمير يحيى بن عبد الواحد[١] على طرابلس. وهو أول أمير حفصي عليها. وكان قوي الإرادة شجاعاً، فحدثته نفسه أن يستقل بطرابلس عن الحفصيين، فأخذ يستعد لذلك بدون أن يطلع أعيان البلد على ما بيّنته.

وترامت الأخبار الى أعيان طرابلس، وبعد أن تشاوروا في الأمر اتفقت كلمتهم على عدم موافقته وبيتوا الثورة عليه.

وفي الليلة التي بيّت فيها هو إعلان الثورة على الحفصيين والاستقلال عنهم بطرابلس، ثار السكان عليه قبل أن ينفذ الأمر وقبضوا عليه، واستشاروا في أمره الأمير يحيى بن عبد الواحد فأمرهم بقتله هو وجماعة من أنصاره فقتلوا وصلبت جثثهم على باب هوارة وأُرسلت رؤوسهم الى أبي زكريا في تونس.

---

(١) كنيته أبو زكريا، وهو مؤسس الدولة الحفصية. عين أميراً على افريقية من قبل الموحدين في ٢٦ من رجب سنة ٦٢٥ هـ واستقل بافريقية عنهم سنة ٦٢٦ هـ ودام ملكها ٣٥٥ سنة و ١١ شهراً وتوفي في ج خ سنة ٦٤٧ هـ وعمره ٤٩ سنة. ودامت ولايته ٢٢ سنة.

محمد بن عيسى الهنتاتي
ولقبه (عنق الفضة)

وهو من قبيلة هنتاتة بطن من بطون المصامدة التي هي من أكبر القبائل البربرية بالمغرب الأقصى .

ولي الهنتاتي طرابلس ، ولم نطلع على من ولاه ، ولا متى تولى. ويظهر أنه لما قتل الهرغي ولاه الأمير يحيى بن عبد الواحد. واستقل بطرابلس عن الحفصيين .

وفي أيامه ظهر أحمد بن مرزوق المسيلي [١] (أبو عمارة) بصحراء سجلماسة وادعى أنه من أهل البيت ، وأنه المهدي المنتظر . وانتشرت دعوته ، واستعمل طرقاً من الشعوذة لاستمالة الناس اليه. ولما لم تنطل حيلته في صحراء سجلماسة ذهب يتقلب في الأرض حتى بلغ طرابلس ، ونزل على عرب بني سليم ، وما زال يحاورهم بشعوذته حتى بايعوه على النصرة ، فأعلن عصيانه

(١) كنيته (أبو عمارة) ولقبه (الدعي) انظر (تاريخ الفتح العربي في ليبيا) .

لإبراهيم بن أبي زكريا [١] ، ودعا لنفسه . وقام بأمر الدعوة له في طرابلس أمير الذبابيين ، وأغار على طرابلس ، وكان واليها محمد بن عيسى الهنتاتي ولم يتمكن المسيلي من دخولها ، فتركها وعاث في ضواحيها: زنزور ولماية، وأغرم غريان ونفوسة أموالاً كثيرة . وترك طرابلس محاصرة وذهب الى قابس . واستفحل أمره فيما بين طرابلس وتونس ، وجهز له أمير تونس (ابراهيم ابن أبي زكريا) جيشاً مع ابنه أبي فارس، والتقى بجيش المسيلي فانكسر جيش أبي فارس ، وتقدم الدعي الى القيروان وتونس فاحتلهما وجلا أمير تونس عنها في شوال سنة ٦٨١ هـ .

واشتد ظلم المسيلي وجوره ، فانبرى له عمر بن أبي زكريا أخو الأمير ابراهيم ، فجمع له والتف الناس حوله ، وثاروا على الدعي أبي عمارة سنة ٦٨٣ هـ فضعف أمره ، وقبض عليه ، وعذب في غير رحمة ثم قتل في هذه السنة وعلق رأسه أمام الناس.

وأثناء فتنة الدعي كان محمد بن عيسى الهنتاتي محتفظاً بمدينة طرابلس . وبعد انتهاء الفتنة بعث بطاعته الى الامير عمر أمير تونس. ودخلت طرابلس في حكمه، وتوفي الهنتاتي سنة ٦٨٤ هـ.

---

(٢) كنيته أبو اسحاق . بويع له بالإمارة على افريقية خارج تونس . ودخل تونس سنة ٦٧٨ هـ وقتل ببجاية في آخر ربيع الأول سنة ٦٨٢ أو ٦٨٣ هـ .

- ٥٧ -

يوسف بن طاهر اليربوعي

ولاّه الأمير عمر بن أبي زكريا على طرابلس سنة ٦٨٤ ﻫ عقب وفاة محمد بن عيسى الهنتاتي ولم يلبث يوسف أن خلع طاعة الأمير ، واستبد بطرابلس عن الحفصيين . وفي أيامه اضطرب أمر افريقية ، وكثرت فيها الثورات .

- ٥٨ -

زكريا بن أحمد اللحياني

ابن محمد بن يحيى بن عبد الواحد بن أبي حفص اللحياني الهنتاتي، أبو يحيى الحفصي. من ملوك الدولة الحفصية في افريقية. ولد بتونس سنة ٦٥٠ هـ. ومات سنة ٧٢٧ هـ.

وكان جده محمد ذا لحية كبيرة فلقب اللحياني. وتوارث اللقبَ أبناؤه وأحفاده.

كنيته أبو يحيى. قدم طرابلس أيام كان أبو عصيدة [١] أميراً على تونس. وبقي بها من منتصف سنة ٧٠٧ الى أواخر سنة ٧٠٨هـ وسافر مع ركب الحاج الى الحجاز. وعاد من الحج في أوائل سنة ٧٠٩. ولما وصل الى طرابلس وجد افريقية مضطربة لضعف أمير تونس [٢] عن ضبطها، فدعا لنفسه في طرابلس، فانضم اليه أولاد أبي الليل [٣] من بني سليم وبايعوه بالامارة.

---

(١) هو محمد بن الواثق. ولما قتل والده الواثق، هربت به أمه - وكانت حاملاً به - الى بيت أبي محمد المرجاني، ولما ولدته سماه محمداً، وأطعم الناس العصيدة، فلقب (أبو عصيدة).

(٢) هو خالد بن أبي زكريا، بويع له بالامارة في ربيع الأول سنة ٧٠٩.

(٣) بطن من الكعوب.

وكان أبو بكر بن أبي زكريا ثائراً على أخيه خالداً أبي البقاء[1] أمير تونس ، فكاتب أبو بكر زكريـــاء اللحياني في طرابلس يستنصره على أخيه خالد ، فأجابه لذلك ، وأرسل جمــاعة من أولاد أبي الليل لحصار تونس وطرد خالد منها . فاحتلوها غرة جمادى الأولى سنة ٧١١ وقتل خالد في جمادى الآخرة من هذه السنة . وجاء اللحياني الى تونس ، وأُخذت له البيعة العـامة في اليوم الثاني من رجب سنة ٧١١ هـ .

وقد اعتبر أبو بكر بن أبي زكريا[2] أخذ اللحيــاني البيعة لنفسه خيانة له ، لأنه استنصر باللحيــاني لتكون الامارة له ، لا ليكون اللحياني أميراً ، فثار على اللحياني ، ولما أيقن بعجزه عن الحرب ، جمع أمواله[3] ورجع الى طرابلس في شعبان سنة ٧١٧ هـ ، وبنى فيها قصراً عظيماً سماه (الطارمة) ، وهو يقع تحت السور القبلي مما يلي البحر .

وبعد مجيئه الى طرابلس بويع ابنه محمد أبو ضربة أميراً على تونس . ولكنه لم يصمد أمــــام ثورة أبي بكر بن أبي زكريا ، فاستنجد بوالده في طرابلس ، فأنجده بالمال والرجال ، ولكنه

---

(١) اسمه خالد بن أبي زكريا . وكنيته أبو البقاء .

(٢) اسمه أبو بكر بن يحيى بن ابراهيم بن أبي زكريــا ولد بقسنطينة في شعبان سنة ٦٩٢ هـ وهو أخو خالد أبي البقاء .

(١) يقال إنها تزيد على عشرين قنطاراً ، وفيهـــا جوالان من حصى الدر والياقوت .

لم يغن عنه شيئاً جيش والده وأمواله ، فهزم أبو ضربة ، والتجأ الى المهدية فأدرك فيها وقتل في ربيع الآخر سنة ٧١٨ ﻫ .

وبلغت أخبار هزيمتـــه والده في طرابلس فأجّر أسطولاً وجمع فيه أمواله وأولاده وهرب الى مصر ، ونزل ضيفاً على محمد ابن قلاوون سلطان مصر إذ ذاك ، فأكرم وفادته . وبقي بمصر الى أن توفي سنة ٧٢٨ ﻫ .

محمد بن أبي عمران

هو من نسل أبي عمران موسى بن ابراهيم بن الشيخ أبي حفص. ولما سافر اللحياني الى مصر سنة ٧١٨هـ ولاه على طرابلس وبقي فى طرابلس نائباً عن اللحياني مستقلاً بها عن أمير تونس واجتمع عليه رؤساء العرب الضاربون حول مدينــة أطرابلس وأغروه بالهجوم على تونس ، وقد استجاب لدعوتهم ، وجمع منهم جيشاً ، وأغار على تونس فاستولى عليها سنة ٧٢١ هـ وبقي بها الى أوائل سنة ٧٢٣ هـ . وفي هذه السنة أغار عليه أبو بكر بن أبي زكريا في تونس فأخرجه منهـا ، فاضطر الى الرجرع الى طرابلس ، فلم يستقبله الأهالي بالرضا ، ولم يلبثوا أن ثاروا عليه سنة ٧٢٤هـ وأخرجوه من المدينة ، فلحق بالعرب خارجها ، وأغار بهم على تونس مراراً ، وفي كل مرة يتركونه وحده ، فأيس من نصرتهم ولحق بتلمسان ، وبقي ضيفاً عند أبي تاشفين .

والى هنا ينتهي عهد ولاة الحفصيين في طرابلس ، وتدخــل في عهد جديد فيه شيء من الاستقلال ، وهو عهد بني ثابت ، وهم وشاحيون من بني سليم .

عَهدُ الوشَاحِيّين

بنو ثابت

عهد جديد تنتقل اليه طرابلس يتولى فيها أمرهـا ولاة من بني ثابت وهم عرب وشاحيّون من بني سليم توارثوا حكمها نحو ٧٩ سنة .

ثابت بن محمد بن ثابت

أول والٍ على أطرابلس من بني ثابت. ولما أخرج الطرابلسيون محمد بن أبي عمران سنة ٧٢٤ هـ من المدينـة ولـّوا عليهم ثابت بن محمد بن ثابت بن عمران في هذه السنة واستمر والياً عليها الى أن توفي سنة ٧٣٠ هـ .

ويقول ابن خلدون : (وفي أوائل المائة الثامنـة كثرت مشاغبة المحاميد والجواري للدولة الحفصية بتونس ، ومـا زال هذا شأنهم حتى تقلص ظلهـا عن قابس وطرابلس ، فاستبدوا برياسة الضواحي ، وتولـّى بنو مكـّي رياسة قابس، وبنو ثابت رياسة طرابلس ، وبهذا انقسمت رياسة أولاد وشاح الى قسمين فتولى الجواري طرابلس وضواحيها ، وزنزور وغريان . وتولى المحاميد بلاد قابس ، وبلاد نفوسة) .

محمد بن ثابت

ولي طرابلس سنة ٧٣٠ هـ عقب وفاة أبيــه وغزا جربــة ، ولقي مشقة في فتحها. واستولى عليها،وأصبحت تابعة لطرابلس.

وفي سنة ٧٤٧ هـ أرسل اليهــا عمر بن أبي بكر أمير تونس جيشاً فطرد عنها محمد بن ثابت فرجع الى طرابلس .

ولما استولى عثمان المريني –أبو الحسن– على تونس في جمادى الآخرة سنة ٧٤٨هـ بعث اليه محمد بن ثابت والي طرابلس ببيعته، فقبلها منه وأقرّه على ولاية طرابلس، وبقي ابن ثابت والياً عليها الى أن توفي سنة ٧٥٠ هـ .

ثابت بن محمد بن ثابت الثاني

تولى ولاية طرابلس بعد وفاة أبيه سنة ٧٥٠ هـ من قبل ابراهيم بن أبي بكر الحفصي، ولكن ثابتاً ما لبث أن استبد بها وقطع صلته بالحفصيين .

وفي أيام ثابت بن محمد الثاني أخذت الأمور تستقر في طرابلس، ونشطت التجارة ، وكان الجنويون يبيتون غزوها ، وجهزوا لها جيشاً وأسطولاً، وغزوها في العاشر من ربيع الأول سنة ٧٥٥هـ، فصبحوها على غرة ، وتسلّقوا السور ، فلم يشعر السكان إلا والعدو في الشوارع وأمام البيوت ، وحيل بينهم وبين الدفاع . وملك العدو البلاد ، واستولى على كل ما فيها من متاع وأموال ، وأسر الرجال والنساء ، ونقلوا كل ما استولوا عليه الى جنوى حتى الاسرى ، ولم يتمكن ثابت بن محمد من الدفاع عن المدينة فهرب الى قبيلة الجواري [1] خارج السور ليحموه ، ولكنهم قتلوه لدم يطالبونه به ، وفرّ أخوه ابراهيم الى مصر .

---

(١) الجواري فخذ من ذباب ، أحد بطون بني سليم .

أحمد بن مكّي[1]

كان أحمد بن مكي حاكماً على قابس حينما احتل الجنويون طرابلس سنة ٧٥٥ هـ فتوسط لديهم في فدائها ، فشرطوا عليه خمسين ألف مثقال من الذهب العين ، فقبل ذلك ، وكانت قابس تابعة لتونس ، فأرسل الى السلطان أبي عنان في تونس يستنهض همته في دفع المبلغ ، ولكن أبا عنان تراخى في ارسال المبلغ ، وألحّ الجنويون على ابن مكي في طلب المبلغ ، فأخرج ما عنده ، واستوهب أهل قابس والجريد والحامة ، فوهبوه ما بقي ، ودفع المبلغ للجنويين ، وسلموا له طرابلس بعد أن مكثوا فيها حوالي خمسة أشهر .

وأرسل له أبو عنان المال ليرده على أصحابه ، فاعتذر . فعقد له على طرابلس ، وجعلها دار امارته ، وبقي أميراً عليها الى أن توفي سنة ٧٦٦ هـ .

---

(١) بنو مكي كانوا حكام قابس . وهم من البربر . ونسبهم في لواتة وجدهم مكي بن فرح ، بن زيادة الله ، بن أبي الحسن بن محمد ، بن زيادة الله، بن الحسين اللواتي .

- ٦٤ -

عبدالرحمن بن أحمد بن مكّي

ولي طرابلس بعد وفاة أبيه أحمد بن مكي .

وكان عبد الرحمن مستبداً في حكمه ، ضعيف الرأي ، شغله حب السلطان عن النظر في مصالح الناس ، وكان يعتمد في وجوده على الإرهاب والقوة . فكرهه الناس وسئموا حكمه ، وصاروا ينتهزون الفرص للخلاص منه .

أبو بكر بن محمد بن ثابت

هو الذي فرّ الى مصر بعد أن قتل الجواري أخاه ثابتاً .

وفي سنة ٧٧٢هـ رجع أبو بكر من مصر الى طرابلس بطريق البحر ومعه أسطول ، فأغار على أطرابلس وحاصرها من جهة البحر ، وأنزل بعض رجاله الى البر ، واتصلوا بسكان ضواحي المدينة وألّبوهم على عبد الرحمن بن مكّي ، وأصبحت المدينة محاصرة من جهة البر والبحر .

وقد انتهز الأهالي فرصة مجيء أبي بكر وحصاره المدينة ، فثاروا على عبدالرحمن لأنهم كانوا يكرهونه لتجبّره عليهم وسوء سلوكه معهم ، وفتحوا أبواب المدينة لأبي بكر فدخلها ، وقبضوا على عبد الرحمن بن مكي وسلموه لأحد رؤساء ذباب فأجاره . وتم الأمر لأبي بكر في طرابلس ، وأرسل بطاعته الى أمير تونس (أحمد بن محمد) فقبلها ، وأقره على ولاية أطرابلس ، وبقي والياً عليها الى أن توفي سنة ٧٩٢ هـ .

علي بن عمران بن محمد بن ثابت

ولي على طرابلس بعد وفاة عمه أبي بكر بن محمد سنة ٧٩٢ هـ .

وفي أيام بني ثابت كانت طرابلس تتأرجح بين التبعية والاستقلال، فتارة يستقلون بها ، وتارة يقدمون طاعتهم لتونس فيتبعونها .

وفي أيام علي بن عمران تنازعوا ففشلوا وذهبت ريحهم . واتصل رئيسهم أبو خلف بأمير تونس (أحمد بن محمد الحفصي) وطلب منه الاعانة على غزو طرابلس ، وإخراج علي بن عمران منها ، فأجاب طلبه ، وأرسل معه ابنه عمر سنة ٧٩٤ هـ في جيش عظيم ، وهاجموا طرابلس . وقد دافع عنها علي بن عمران دفاعاً عظيماً حتى أيسوا من اقتحامها عليه ، فأقاموا عليها سنة يحاصرونها ويمنعون عنها الأقوات ويغيرون عليها كلما أمكنتهم الفرصة .

وقد سئم الجيش التونسي طول البقاء ، وسئم المحاصرون

طول الحصار ، فاتفق علي بن عمران مع عمر بن أحمـــد رئيس الجيش المحاصِر على غرامة حربية يدفعها علي بن عمران لعمر بن أحمد ويرحل عن طرابلس ، فدفع عليُّ بن عمران ما اتفقوا عليه ورحل عمر بن أحمد عن طرابلس سنة ٧٩٥ هـ . وبقي عـلي بن عمران والياً عليها حتى طرده منها ابنا عمه : يحيى وعبد الواحد سنة ٨٠٠ هـ بمساعدة أمير تونس : عبد العزيز بن أبي العبـــاس (عزوز) واستولى عزوز على طرابلس .

يحيى بن أبي بكر بن ثابت

ولاّه على طرابلس أمير تونس –عبد العزيز بن أبي العباس– وجعل أخاه عبد الواحد رئيساً على الجيش ، ورجع الى تونس . وبقي يحيى وأخوه عبد الواحد يديران شئون طرابلس ، إلا أن عبد العزيز أمير تونس لم تسترح نفسه لما كان يبدو منهما ، مما جعله يتوجس منهما خيفة الاستقلال بطرابلس عنه . فذهب الى طرابلس سنة ٨٠٣ هـ وعزلهما وولى عليها رجلاً اسمه عبد العزيز وكان يثق فيه. والى هنا انقرضت امارة بني ثابت من طرابلس.

- ٦٨ -

ولاية عبد العزيز [1]

عيّنه أبو فارس والياً على طرابلس بعد أن عزل يحيى وأخاه عبد الواحد ولم نطلع على نسبه، إلا أنه يقال : إنه كان من رجال عزوز الذين كان يثق فيهم ، وهنا حصل اضطراب بين ما ذكره المؤرخون ، وقال في المنهل العذب : إن عبد العزيز هذا بقي والياً على طرابلس الى أن توفي سنة ٨٢٣ هـ .

---

(١) اعتمدت في هذه الترجمة على ما ذكره صاحب المنهل العذب ،

محمد بن عبد العزيز [1]

لقبه المنصور. عينه والده أبو فارس والياً على طرابلس وبقي والياً عليها الى أن توفي سنة ٨٣٣ هـ ومدة حكمه عشر سنوات .

---

(١) اعتمدت في هذه الترجمة على ما ذكره صاحب المنهل العذب .

عبدالواحد بن حفص

كنيته أبو محمد . عقد له أبو فارس على طرابلس بعد وفاة محمد المنصور سنة ٨٣٣ هـ . وكان عبد الواحد هذا حازماً في أموره ، ذا رأي صائب ، قوي الارادة ، محباً للاصلاح .

ولما عرضت عليه ولاية طرابلس اشترط لقبولها شروطاً :

أولاً أن يبقى والياً على البلاد ، ولا يعزل حتى يعيد البلاد الى أعز ما كانت عليه من الغنى والراحة .

ثانياً : أن يستقل بالادارة ولا يرد أمره في شيء .

ثالثاً : أن يتخذ لنفسه جنداً حسبما يريد .

وقد قبلت كل شروطه على رضى من الأمير عبد العزيز .

ومنذ أن أُسندت اليه إدارة أطرابلس أخذ يعمل لاستتباب الأمن ، واطمئنان الناس على أموالهم وأرواحهم ، وضرب على أيدي الأشقياء من الأغراب العابثين بالأمن ، وسلك معهم طريق الترغيب تارة ، والترهيب أخرى حتى قضى عليهم . وأقام العدل

بين الناس فيما ولاه الله من أمورهم. فنعمت البلاد في أيامه واطمأن الناس على أموالهم وأرواحهم . وانصرفوا الى العمل في رغبة واتسعت تجارتها ، وكثرت الأموال . وبقي والياً عليها الى أن توفي سنة ٨٥٨ هـ ومدة حكمه ٢٥ سنة ، كانت من أهدأ السنين على طرابلس راحة ورغد عيش . وأثرى الناس فيها إثراء لا نظير له مع ما تقدمه من ولاة .

أبو بكر بن عثمان

ولاه والده عثمان بن محمد أمير تونس على طرابلس سنة ٨٥٨هـ بعد وفاة عبد الواحد بن حفص . ولم يحدث في زمنه ما يكدر صفو البلاد ؛ لأن عبد الواحد مهَّد له السبيل ، فنعمت في أيام أبي بكر بما تركه عبد الواحد فيها من أمن واستقرار .

وكان لأبي بكر بن عثمان بن أخ اسمه يحيى[1] بن محمد المسعود يقيم مع جده عثمان في تونس. وقد توفي والد يحيى -قبل جده- سنة ٨٧٥ هـ[2] فتنازل له جده عن الامارة ، وأقر عمه أبا بكر على طرابلس .

وقد غضب أبو بكر لتقديم ابن أخيه عليه في الامارة ، فشق عصا الطاعة على ابن أخيه يحيى ، وأراد أن يستقل عليه بطرابلس ، وطلب من أهل طرابلس أن يناصروه ويبايعوه بولايتها مستقلا بها عن ابن أخيه يحيى أمير تونس . ولكن أهل

---

(١) سماه صاحب المنهل العذب (زكريا) .

(٢) توفي جده عثمان في رمضان سنة ٨٩٣ هـ .

طرابلس لم يوافقوه . وثاروا عليه بزعامة جماعة يقال لهم بنو غراب ، وانضمت اليهم الأكثرية ، وبقيت قلة مع الوالي أبي بكر .

ويقال : إن سكرتير السفارة الفرنسية له دخل في اثارة خواطر الطرابلسيين على الوالي أبي بكر .

ووقعت حرب بين الفريقين انتهت بالقبض على الوالي أبي بكر ، وأرسل الى ابن أخيه في تونس فحبسه أيام ثم قتله . وكان آخر وال من الحفصيين على طرابلس .

- ٧٢ -

الشيخ منصور

بعد أن ُطرد أبو بكر الحفصي من طرابلس بقيت البلاد في شبه فوضى ، يتنازعهـــا بنو غراب من جهة ، وأنصار الوالي أبي بكر من جهة أخرى، فنهض من بين سكان المدينة رجل اسمه الشيخ منصور ، وسعى بينهم بالخـــير فاستمعوا لنصائحه وهدأت الحال .

وقد اعجب سكان المدينة بمساعيه الحميدة فاختاروه واليـاً عليهم .. وسمع سكان الدواخل ببيعة الشيخ منصور ، فوافقوا كلهم عليها .

ولم يكن الشيخ منصور ُموفقاً في سياسة الناس ، فسرعان مـا تغيرت حاله ، وانقلب من رجل وصل الى منصب الولاية بسبب مساعيه الخيرية ، الى رجل شرّير مستهتر ظـــالم . فقتله أحد أقاربه .

ولا نعلم شيئاً عن حياة الشيخ منصور، ولا من أي قبيلة هو.

- ٧٣ -

يوسف ومامي

يوسف أحد أغنيـــاء مدينة طرابلس ، بايعه الطرابلسيون بولاية طرابلس بعد قتل الشيخ منصور ، وحكم تسع سنوات ، ومات بعدها بالطاعون سنة ١٤٨٠ م .

وتولى مامي بعـد يوسف ، وبقي في الحكم ١٢ سنة وتوفي سنة ١٤٩٢ م .

ولم أطلع – فيما اطلعت عليـــه من مراجع – على من ذكر يوسف ومامي في ولاة طرابلس سوى الاستاذ عمر الباروني في رسالة (الإسبان وفرسان القديس يوحنا في طرابلس) وذكرهما بدون نسب ولا كنية ، ولا لقب . ولم يزد في وصف يوسف على قوله : (رجلاً غنياً يدعى يوسف) كما لم يزد فيما يتعلق بمامي على قوله : (وخلف يوسف المذكور في الحكم على طرابلس مامي الذي توفي سنة ١٤٩٢ م) .

ويذكر صاحب (المنهل العذب) أن بني غراب لمـــا ثاروا قدموا (محمد بن الحسن) وكان ضعيف الارادة، فاستغلوا ضعفه ، واستبدوا بالأمر دونه ، وصاروا يتصرفون باسمـه وهو لا يعلم

من الأمر شيئاً حتى ساءت أحـــوال طرابلس ، فبعث زكريا المسعود (أمير تونس) بجيش الى طرابلس ، وحــاصرها براً وبحراً نحو سبعة أشهر ، واتفقت رواية الباروني وصاحب المنهل العذب على أنه لم يتمكن من احتلالها .

ويشبه أن يكون محمد بن الحسن الذي ذكره صاحب المنهل العذب ، هو مامي الذي ذكره الاستاذ الباروني .

ولا يسع الانسان – أمام هذه الروايات المتضاربة المتنافرة إلا أن يقف حائراً والأسف يحز في نفسه على ما أصيب به تاريخ بلادنا من الاهمال وعدم التحري في النقــل ، وضبط الحوادث ، وتسلسلها . وهو أمر يدعو الى الجد في البحث عن هــذا التراث المبعثر في كتب الافرنج ورحلات المسافرين .

الشيخ عبدالله بن شرف

بعد موت مامي انتخب الطرابلسيون بالإجماع الشيخ عبدالله ابن شرف . وهو رجل اشتهر بالتقوى والصلاح وكثرة العبادة، حتى سمي المرابط .

وقد تغلّبت عليه هذه الناحية الروحية فلم يكن عنده اهتمام بتحصين البلاد ، وتقوية حصونها ، وتنظيم جيشها ، حتى أصبحت عرضة لطمع الأعداء .

ولم تكن ثورة بني غراب ذات أثر على ثروة البلاد . وقد تمكن سكان المدينة – بما هم فيه من الأمن والراحة – أيام الشيخ عبدالله بن شرف أن يزيدوا في ثروتهم حتى أصبحت يضرب بها المثل في الشمال الافريقي . وهي التي أغرت الاسبان باحتلال أطرابلس .

احتلال الاسبان طرابلس :

وفي أيام الشيخ عبدالله بن شرف احتل الاسبان طرابلس . فقد جهزوا لغزوها أسطولاً يزيد على مائة وعشرين سفينة، تحمل

قرابة عشرين ألف جندي من الاسبان والطليان . وقـد بلغت أخبار الغزو الاسباني الى الطرابلسيين ففر كثير منهم الى غريان ومسلاتة ، وأخذوا معهم أكثر أموالهم .

وفي ليلة الثـــامن عشر من ربيع الأول سنة ٩١٦ الموافق الخامس والعشرين من يوليو سنـــة ١٥١٠ م رسا الأسطول على ميناء طرابلس ، وفي صباح هذه الليلة نزل الجيش بالمدينـة بعد أن ضرب قلاعها بمدافعه ، واستبسل الطرابلسيون في الدفـاع عن مدينتهم . وبلغ عدد القتلى أكثر من خمسة آلاف ، وعـدد الأسرى أكثر من ستة آلاف .

وتحصن بعضهم بالجامع الكبير ، وقتـل منهم نحو ألفين بين رجال ونساء وأطفال ، حتى قيل : لا يخلو موضع قدم في المدينة من جثة شهيد . وقبـــل غروب شمس يوم ١٨ من ربيع الآخر سنة ٩١٦ هـ تم احتلال طرابلس ،وسقطت في يد أعداء الانسانية الاسبان والطليان. ولكثرة القتلى فقد أُلقيت جثثهم في صهاريج الجوامع ، وفي البحر ، وأُحرق بعضها . وبقوا فيها نحو عشرين سنة لم يتجاوزوا أسوار المدينة .

* * *

وفي هذه الحرب الاسبانية أُخذ الشيخ عبدالله والي طرابلس أسيراً هو وأولاده وحريمه الى مسّينا من أعمال صقلية [١]،وبقوا

(١) ذكر في مكان آخر أنه أخذ الى بلرمو .

هناك نحو عشر سنوات .

وقد ضاق الحال بالاسبان في طرابلس ، واشتدت مقاومة الطرابلسيين لهم خارج السور ، وبقوا محصورين داخل السور . فأطلقوا سراح الشيخ عبدالله حوالي سنة ٩٢٧ ﻫ أملاً في أن يؤثر رجوعه على الطرابلسيين ويخضعوا للاسبان ، ورجع على أثر رجوعه نحو ٥٠٠ أسرة كانت هاجرت من المدينة . ولكن الشيخ عبدالله لم يجد في معاملة الاسبان ما يرغبه في البقاء معهم ، فلم يلبث أن التحق بالمجاهدين خارج السور في تاجورة . والى هنا انتهى خبر الشيخ عبدالله شرف . ولا ندري ما فعل الله به .

ولم يستفد الاسبان من إطلاق سراح الشيخ عبدالله ، ورأوا ألا فائدة من بقائهم في طرابلس . وما كادت منظمة فرسان القديس تطلب تنازلهم عنها لها حتى أجابوا طلبها وتم تنازلهم لها عن طرابلس في المحرم سنة ٩٤٢ ﻫ – يوليو سنة ١٥٣٥ م .

ودام الطرابلسيون على جهادهم وحصار المدينة أيام فرسان القديس مثل ما كانوا أيام الاسبان ، الى أن جاء سنان باشا في الأسطول العثماني سنة ٩٥٨ ﻫ ١٥٥١ م ورسا على تاجورة .

وبعد معارك طاحنة انتصر سنان باشا على فرسان القديس ، واحتل طرابلس يوم ١٣ من شعبان سنة ٩٥٨ﻫ ١٦ من أغسطس سنة ١٥٥١ م . وخرجوا مدحورين يجرون أذيال الخيبة ، وتصحبهم لعنة الهزيمة . وكانت مدة احتلال الاسبان وفرسان القديس لطرابلس حوالي ٤٢ سنة .

وقد أتينا على تفصيل فظائع الاسبان وفرسان القديس في طرابلس ، في كتابنا (تاريخ الفتح العربي في ليبيا) .

والى هنا انتهى العهد الأول من حياة مدينـة طرابلس من سنة ٢٢ هـ الموافقة ٦٤٣ م الى سنة ٩١٦ هـ الموافقـــة سنة ١٥١٠ م .

●

نوع الحكم في طرابلس

ومن بداية الفتح العربي ، والى أن قتلت الكاهنة البربرية سنة ٨٤ هـ الموافقة سنة ٧٠٥ م لم تكن أقدام العرب ثبتت في إفريقية ، ولم تكن دعوتهم الإسلامية استقرت فيها وكانت الحرب سجالاً بينهم وبين سكان الشمال الإفريقي ، لذلك فإنه من الممكن أن نقول : إن الحكم في طرابلس – في تلك المدة – لم يكن إسلامياً بحتاً ، وكان يتأرجح بين بين .

أما بعد قتل الكاهنة فقد أخذت أقدام العرب تثبت في إفريقية ، وأخذت دعوتهم الاسلامية في الاستقرار والانتشار ، وأصبح من الممكن القول بأن الحكم في طرابلس صار تابعاً لهذه الدعوة المستقرّة المنتشرة ، وكان يتولاه العرب تارة والبربر أخرى . وكان لا يخلو من صِلات تربط بين الحاكم والمحكوم : إما الجنس والوطن والدين إذا كان الحاكم عربياً ، وإما الوطن

والدين إذا كان الحاكم بربرياً، وإما الجوار والدين إذا كان الحاكم تونسياً .

ويلاحظ أن هذا العهد - من بعد حكم العبيديين - لم يتجاوز نفوذ الولاة فيه - في كثير من الأحيان - ضواحي المدينة : تاجورة والساحل وزنزور وما اليها . وقد يقتصر على داخل سور المدينة فقط . أما غريان وبني وليد وترهونه الى الى مصراتة ففي أغلب الأوقات تكون مستقلة عن حاكم المدينة . وإذا كان الحاكم بربرياً فإن نفوذه يشمل جبل نفوسة وزوارة .. وقد تولاها في هذا العهد أربعة وسبعون والياً .

وهي الآن مقبلة على عهد جديد لا صلة فيه بين الحاكم والمحكوم إلا الدين وهو العهد التركي الذي ابتدأ من شهر أغسطس سنة ١٥٥١ م وانتهى في اكتوبر سنة ١٩١١ م .

العَهْدُ التّركي

ابتدأ العهد التركي في شعبـان سنة ٩٥٨ هـ الموافق أغسطس سنة ١٥٥١ م .

ويتسم هذا العهد بالفوضى والظلم وسلب الأموال ، وعـدم التقيد بأي شريعة إلا ما تمليه إرادة الوالي من كل مـا يوفر له شهواته ونزعات نفسه .

وقد اضطر كثير من زعماء القبائل الى الثورة على الولاة لمـا يلاقونه منهم من حيف وعدم إنصاف . وكثيراً ما يعدهم الوالي بالوفاء بما يطلبونـه - خداعاً منه - حتى إذا سكنت الثورة ووصل الى غرضه خان العهد ، ورجع الى سيرتـه الأولى من السلب والنهب ، وكثيراً ما امتدت أيديهم الى الحرمات مما يضطر الناس الى الثورة . وهكذا دواليك .

وكل من أعجزه الفقر عن دفع الضريبة فليس أمامه إلا أن يحمل الى السجن في شبكة على ظهر جمل ، أو يكتف ويربط في ذيل حصان ويجر الى السجن ، وإذا أفلت من هذا العذاب فليس أمامه إلا الجلاء ، وحينئذٍ يلزم جاره بدفع ما كان عليه ، فإذا عجز فُعل به ما فُعل بمن تقدمه بحيث لا ينقص وارد الحكومة بنقص السكان .

أما العناية بالعمران وتعليم الشعب فلم يهتم له العهد التركي لا قليلاً ولا كثيراً .

وقد مكث الترك في طرابلس أكثر من ثلاثمائة سنة ، ولما جاء الاحتلال الايطالي في اكتوبر سنة ١٩١١ لم يكن في البلد نور كهرباء ، ولا شبر من سكة الحديد . ولا واحد يحمل شهادة دكتوراه في الطب ، ولا شهادة ليسانس في الحقوق . وكان المسافر يأتي الى المدينة فيمشي في الصحراء حتى يصل سور المدينة .

وقد تولى طرابلس ٧٢ والياً تركياً ، مات منهم بالقتل أو الانتحار أكثر من ٧٠ ٪ نتيجة لتسلط الجيش على مقاليد الأمور في البلد .

وكان يؤتى بصاحب المقهى من مقهاه ، وبالخياط من حانوته وينادى به والياً على طرابلس . وهذا قليل من كثير مما عانته طرابلس في العهد التركي ، حتى جاء الاحتلال الايطالي وهي لا تملك من مقومات الحياة شيئاً .

مراد آغا

أول وال تركي على طرابلس . وكان مـــع سنان باشا في تاجورة[1] حينما كان يحارب فرسان القديس في مدينة طرابلس. وقد أبدى شجاعة فائقة في حرب فرسان القديس .

وبعد أن طرد سنان باشا فرسان القديس من مدينة طرابلس عينه والياً عليها في شعبان سنة ٩٥٨ هـ أغسطس سنة ١٥٥١ م . وبولايته على مدينة طرابلس عاد الحكم الاسلامي اليهـا ، بعد أن مضى عليها نحو أربعين سنة كانت تحت الاستعمار الاسباني ، ثم استعمار القسس (فرسان القديس يوحنا) .

وكانت الجهة الشرقية والجنوبية من المدينة في حال حرب مستمرة مركزها تاجورة . وكانت الرياسة فيها لقواد الجيش ، ولا يوجد فيها اسم وال .

ومراد آغـــا أصله ايطالي من مواليد راقوسا ، وأسره

(١) وذكر النائب وابن غلبون أنه عين من طرف السلطان سليم ، في رواية انظرها ان شئت .

القراصنة ، وباعوه ، وآل أمره الى قصر السلطان سليم ، وعملت له عملية الخصاء ليباشر خدمة النساء في القصر ، ولذلك سمي (آغا) أي ليس له ما يباشر بـه النساء وانضم الى برباروسا (قائد الاسطول العثماني) سنة ١٥٣٨ م وهو الذي أرسله الى تاجورة ليستأنف ما بدأ به خير الدين كرمان في تاجورة وينظم الغزو على مدينة طرابلس ، وقام بمهمته خير قيام .

وبعد تعيينه والياً قام باصلاح خراب مدينة طرابلس الذي حل بها أيام استعمار الاسبان وفرسان القديس [١] وجلب لهـا كثيراً من السكان ؛ لأن الحروب أتت على كثير من سكانهـا . وشجع الناس على التجارة والصناعة والزراعة ، واستردت المدينة في أيامه كثيراً مما فقدته أيام الأسبان وفرسان القديس .

وأمكنه أن يخضع البلاد للنفوذ التركي ، وحاولت زوارة التخلص من نفوذه فغزاها في شعبان سنة ٩٥٩ هـ أغسطس سنة ١٥٥٢ م [٢] وأخضعها لحكمه . ولم يحدث في أيام مراد آغا غير هذا الحادث .

وبقي والياً على طرابلس الى ربيع الآخر سنة ٩٦٠ هـ مارس سنة ١٥٥٣ م . حيث عزل وعين طورغود باشا واليـاً على

---

(١) انظر (تاريخ الفتح العربى في ليبيا) لتعلم حالة الخراب التي وصلت اليها مدينة طرابلس أيام هذين الاستعمارين .

(٢) هذا التاريخ يخالف ما ذكره النائب .

طرابلس بدلاً عنه . وانتقل مراد آغا الى تاجورة . وكانت مدة ولايته سنة وسبعة أشهر [1] . وأخذ معه أمواله وبعض المسيحيين الذين كان أسرهم وملكهم ملك الرقيق . وبنى جامعه الكبير في تاجورة بواسطة هؤلاء الأسرى ، ووعدهم باطـــلاق سراحهم اذا هم أتموه على أكمل وجه وما زال الجامع موجوداً ، والى جانبه مدفنه ، عليه رحمة الله .

(١) هذه المدة غير التي قضاها في تاجورة قبل فتح طرابلس وتوليه عليها من قبل سنان باشا .

طورغود باشا [١]

كان طورغود يتمنى أن يكون والياً على طرابلس . وقد سعى لدى السلطان سليمان ، ونجحت مساعيه ، وعُزل مراد آغا وعين بدله والياً على طرابلس في ربيع الآخر سنة ٩٦٠ هـ مارس سنة ١٥٥٣ م .

وفرح العرب والترك بمقدمه وتعيينه والياً على طرابلس لما يعلمونه عنه من المقدرة والكفاية . وتسلم من مراد آغا مهام الحكم وشئون البلاد . وما زالت المدينة في حاجة الى اصلاح ما بقي من فساد الاسبان وفرسان القديس في السور والأبراج .

وأخذ في تشجيع الزراعة ، وإحياء الصناعة ، وإنعاش التجارة ، وإسعاف السكان بما يرفه عنهم شظف العيش . وقد تناول كلّ هذه الأمور بما عرف عنه من عزم وقوة إرادة .

وكان يعتمد في أكثر نفقاته على الغنائم التي يأتي بها الاسطول في غزواته على اوروبا .

---

(١) هو الذي يسميه العامة (درغوث باشا) .

وفي أيامه احتل صفاقس واستد نفوذه الى الحدود المصرية. وكان المكنّى حاكماً على صفاقس . فأشار على طورغود بأن يأخذ جماعة من الصفاقسيين المهرة في الزراعة ليعملوا على احيائها في طرابلس، واستحسن طورغود رأيه وكلفه باختيار من يراه.. واختار المكنى نحو أربعين أسرة، فوافق عليها طورغود وكلفه أن يكون رئيساً عليهم فلم يسعه إلا الامتثال . ولما وصلوا الى طرابلس فرح الناس بهم . وأصبح المكنى من أعضاء مجلس الوالي المقربين .

واهتم طورغود بإصلاح مرافق البلاد وفي مقدمتها الاسطول والجيش، حتى أصبح المقام الأول من اهتمامه للاسطول الطرابلسي في البحر الأبيض . وصار يغزو أوربا ويأتي بالغنائم الكثيرة . وقد تمتعت طرابلس في أيامه بالأمن الكامل ، وانتعشت فيها الحياة من جميع مرافقها . وبذل طورغود في تعميرها ما أمكنه من جهد ، وفي التقدم بها ما وسعته قدرته .

وفي سنة ٩٧٢ هـ أعلنت الدولة العلية الحرب على مالطة - وكان فيها فرسان القديس يحرضون الدول الاوربية على المسلمين — وأرسلت اليها أسطولها فحاصرها .

ولما طال الحصار استدعي طورغود من طرابلس ، فذهب اليهم في اثنتي عشرة سفينة واشتدت المعارك بين الطرفين . ولم

يمكن التغلب على حصون مالطة واستشهد طورغود في احدى المعارك سنة ٩٧٣ هـ وجيء بجثته الى طرابلس ، ودفنت في تربة خاصة ، وما زال قبره يزار باعتباره أحد الشهداء ، ومن كبار المجاهدين .

عليه رحمة الله ورضوانه .

●

- ٧٧ -

يحيى باشا

عينه السلطان سليمان والياً على طرابلس بعد موت طورغود. وأسند اليه رئاسة الأسطول وقيادة الجنـد . توفي سنة ٩٧٣ هـ ودفن بقصر قراقش (قرقارش) .

•

مصطفى باشا

ولاّه السلطان سليمان على طرابلس عقب وفاة يحيى باشا .

وفي سنة ٩٨٠ هـ استنجد به حيدر باشا عامل القيروان للدفاع عن تونس من غزو الإسبان الذين استنصر بهم محمد بن الحسن آخر أمراء الحفصيين .

وذهب مصطفى باشا الى القيروان في جيش تلبية لدعوة حيدر باشا . وجاءت نجدة من الآستانة بقيادة سنان باشا ، وفتحت تونس عنوة ، وهرب محمد بن الحسن والإسبان الذين استعان بهم لخمس بقين من جمادى الأولى سنة ٩٨٠ هـ ورجع مصطفى باشا الى طرابلس بعد أربعة أشهر تقريباً قضاها في الدفاع عن تونس . وتوفي سنة ٩٨٢ هـ .

محمد باشا التركي

ولاّه السلطان مراد الثالث على طرابلس سنة ٩٨٢ هـ عقب وفاة مصطفى باشا . وكان سيىء الخلق ، شديد البطش ، فثار عليه عامل غريان اسمه (الحجّاج) . وانضم اليه كثير من الناس يطلبون الانصاف والعدالة التي فقدوها أيام محمد التركي ، واستقلوا بغريان .

وفي أيام محمد التركي حصلت فتنة بين (المنتصر بن الناصر بن محمد الفاسي) عامل فزان ، وبين زوجه (خَوْد) [١] وامتنعت عليه في القصر الأحمر بسببه ، فهاجمها فيه ، وحاصرها ثلاثة أيام ومات في الرابع كمداً قبل أن يقتحمه عليها سنة ٩٨٥ هـ .

وكاتبت محمد التركي في طرابلس ليرسل اليها جيشاً لتسلمه البلد . وفي هذه الأثناء ثار الناصر – وهو أكبر أولاد المنتصر – على الترك في فزان ، وقطع علاقته بمحمد التركي بطرابلس .

ولما وصلت رسالة خود الى محمد التركي في طرابلس ، أرسل

---

(١) ذكرنا أسباب هذا الخلاف في ترجمتها في (أعلام ليبيا) .

اليها جيشاً ، ولمـــا وصلوا سبهة أبت خود أن تسلمهم القصر ، فحاصروها ثم قتلوها . وفر الناصر – الذي ثار على الترك بفزان – الى كاشنة ببــلاد السودان ، واستولى الترك على فزان وعينوا عليها حاكماً يقال له (مامي) ورجعت بقية الجند الى طرابلس سنة ٩٩٠ هـ وفي هذه السنة توفي محمـــد التركي والي طرابلس ، وتركها تعاني ما خلفه وراءه من الفوضى أيام حكمه الفاسد .

- ٨٠ -

جعفر باشا

ولاّه عليها السلطان مراد سنة ٩٩٠ هـ بعد وفـاة محمد باشا التركي . وكان جعفر ضعيف الارادة عاجزاً عن القيام بأعبـاء الحكم . فانتهز الجند ضعفه واستولوا على أمور البلد واستغلوها لمصالحهم وإرضاء شهواتهم ، فكثرت الثورات ، وانتشر الفساد، وصار الناس يغير بعضهم على بعض في وضح النهـار . وامتدت أيدي العمال الى أموال النـاس سلباً ونهباً وثار أهل فزّان على مامي التركي فقتلوه آخر سنة ٩٩٠ هـ .

وفي ايام جعفر سنة ٩٩٦ هـ ثار عليه بناحية تاجورة يحيى بن يحيى السويدي ، وانضم إليه كثير من الناس ممن كانوا يشعرون بضرر ما انتشر في البـلاد من فساد وفوضى ، وانضمت اليهم مسلاتة فكثر عدد الثائرين .

ولما سمع بهم جعفر باشا والي طرابلس هاجمهم بظاهر مسلاتة فقتل من جيشه نحو الألف ، ورجع مهزوماً ، واستمر في هزيمته الى أن دخل طرابلس ، ويحيى السويدي يطـاردهم ، وطمع في الاستيلاء على طرابلس .

وعسكر في تاجورة ، وحاصر طرابلس، وامتد حصاره لها الى سنة ٩٩٨ هـ وفي هذه السنة تدخّل في المعركة شيخ أولاد نوير (فخذ من قبيلة المحاميد) ويفهم من قول النائب أنه جاء نجدة للترك ، ويفهم من قول ابن غلبون أنه كان مع يحيى ثم انشق عليه . وعلى كلا القولين فإن دخوله في المعركة كان في صالح جعفر باشا الذي انتصر على يحيى بانضمام شيخ أولاد نوير اليه . وقبض شيخ أولاد نوير على يحيى السويدي[1] وسلمه الى جعفر باشا والي طرابلس فقتله سنة ٩٩٨ هـ .

ويقول النائب – سامحه الله – بعد قتل يحيى بن سويد : (وتشتتت تلك الكلاب العاوية) ويعلم الله أنهم اسود ضارية دافعوا عن حقوقهم و كرامتهم ، وما ضرهم أن لم يوفقوا ، فان فإن النصر بيد الله .

ملحوظة : وصف النائبُ جعفر باشا بضعف الشكيمة وعجز الرأي ، وقال: فتغلبت عليه الجنود، واضطربت البلاد، الى أن قال : وأظلم الجو من بغي الجنود وجور العمال .

ولا شك أن هذه الأحوال من أقوى الأسباب التي تدعو الناس الى الثورة على الحكام الذين يتصفون بهذه الصفات البغيضة دفاعاً عن أنفسهم وأموالهم . وإذا لم يثر الناس على بغي الولاة

(١) لم نعثر على ترجمة ليحيى السويدي ، ولا من أي قبيلة هو . ولما سمع السلطان مراد بما فعل شيخ أولاد نوير أمر بإكرامه. وجعل لقبيلته في خراج البلد سهماً وافراً .

وفسادهم، وجور الجنود والعمال فأي شيء أقوى من هذا يدفعهم الى الثورة ؟

ويحاول النائب أن يصف هؤلاء الثوار بالمرتزقة وأنهم من جفاة الأعراب وأجلافهم . وتكرر هذا منه في كثير من الولاة الأتراك الذين يصفهم أولاً بجميع أنواع الفوضى والظلم، ثم يصف الثائرين عليهم بمثل ما تقدم .

وإذا لم يكن هذا من النائب تقية لشر الأتراك وخوفاً من بطشهم ، فلا شك أنه إجحاف لحق مواطنيه ، وعدم إنصاف لهم . على أن اتقاء بطش الحاكم لا يجيز للمؤرخ أن يغير الحقيقة، ويصف المظلوم بما يجب أن يوصف به الظالم ، ويبرىء الظالم بعد أن وصفه بجميع الأوصاف التي تبيح الثورة عليه وخلعه من الحكم ، بل تجعلها واجبة دفاعاً عن المال والكرامة ، وقياماً بحق الوطن .

وخيرٌ من قلب الحقائق أن تترك للزمن ، أو تقيد في أوراق يحتفظ بها في بطون خزائن الكتب حتى تتاح لها فرصة الظهور . وكثيراً ما عثر المنقبون في بطون الكتب على مثل هذه الحقائق التي حالت قسوة الظروف دون ظهورها في وقتها .

ويقول ابن غلبون –بمناسبة ما جرى في زمن جعفر باشا – : (ولم تزل طرابلس – لتولي جندها الأمر ، وطرحهم له شورى

بينهم – في تضعضع وتعب شديد ، والثورة قائمة في كل ناحية) .

واستمرت ولاية جعفر باشا الى أن ثار عليه الجند [1] سنة ١٠١٢ هـ وعزلوه .

---

(١) يقال لهؤلاء الجند (اليكجرية) . ويقال لهم في اللغة الدارجة (الانكشارية) . ومعناها العسكر الجدد .

- ٨١ -

المنتصر بن الناصر بن محمد الفاسي [١]

كان والياً على فزان سنة ٩٨٥ هـ مستقلاً بهـــا عن الترك في طرابلس . وقد حصل نزاع بينه وبين زوجه خَوْد بنت عمـــه شرومه ابن محمد الفاسي ، بسبب أنه تزوج عليها ، وقـد ذكرنا القصة في ترجمة محمد التركي فانظرها .

(١) قد يكون الترتيب بين ولاة فزان الثلاثـــة وبين ولاة الأتراك في مدينة طرابلس غير محرر ، لأن بين الفريقين تداخلا في الزمن .

- ٨٢ -

الناصر بن المنتصر بن محمد الفاسي

تولى حكم فزان بعد موت أبيه سنة ٩٨٥ هـ . ولكن محمد باشا التركي لم يمهله ، فبعد أن قتلت عساكره زوجة والده خَود التي أرادت أن تستقل بالحكم في سبهة ، زحفوا اليه في مرزك، واستولوا عليها، وهرب هو ومن معه من أقاربه الى كاشنة — من بلاد السودان - واستقر بها .

وفي أواخر سنة ٩٩٠ هـ ثار أهل فزان على الجيش التركي وأفنوه عن بكرة أبيه . وأرسلوا الى الناصر في السودان فقدم عليهم، وتولى الحكم في فزان. وبقي بها حاكماً الى سنة ١٠٠٨هـ ومات في هذه السنة مريضاً .

- ٨٣ -

المنصور بن الناصر بن المنتصر بن محمد الفاسي [١]

تولى الحكم في فزان مستقلاً بها عن الترك بعد أن توفي والده مريضاً سنة ١٠٠٨ هـ . وله قصة مع سليمان داي سيأتي ذكرها في ترجمته .

---

(١) يقال لهذه الأسرة أولاد محمد ، وهم من أصل مراكشي ، حكموا فزان سنين طويلة ، وهي من الأسر الغريبة عن طرابلس التي حكمت فزان، لأن فزان كلما ضعفت فيها السلطة الطرابلسية حاولت الاستقلال عن طرابلس أو استقل بها بعض المغامرين من الغرباء الذين يسعون وراء الشهرة مثل اسرة بني محمد هذه .

-٨٤-

سليمان داي[١]

ولما ثار الجند على جعفر باشا سنة ١٠١٢ ﻫ عزلوه وأمنوه على أن يخرج من البلد فخرج وعينوا سليمان داي والياً على طرابلس بدون أن يكون للسلطان في تركيا دخل في هذا التعيين . وكثيراً ما تحكّم الجند في أمور طرابلس ، فكانوا يثورون ، ويعزلون ويعيّنون بدون أن يكون لحكومة استانبول دخل في ذلك .

وسليمان داي هذا هو الذي تسميه العامة (صفر داي) . وتولى أمر الخزانة والخراج ، وحسنت سيرته وقويت شوكته . وقتل بعض رؤساء الجند الذين اعتادوا الثورة على كل والٍ ألانَ لهم جانبه .

وفي سنة ١٠١٥ ﻫ ثار عليه أهل تاجورة وخلعوا بيعته ، وانضم اليهم بنو رُقيعة ، ونزلوا حوالي تاجورة ، وكثر الثوار

---

(١) كتبه النائب أكثر من مرة (سليمان طاي) بالطاء . وكتبه ابن غلبون بالدال بدل الطاء .

وعينوا عليهم رجلاً يقال له (أُوَيس) فخرج اليهم سليمان داي في جيش كبير لقتالهم ، ولكنه لم يقدر عليهم لكثرتهم .

وقد حصل خلاف بين أهل تاجورة وبني رقيعة ، فرجع بنو رقيعة الى ديارهم وتركوا أهل تاجورة لسليمان داي وجهاً لوجه ، فتغلب عليهم ، ودخل الجند تاجورة فقتلوا ، ونهبوا ، واستباحوا الحرمات .

وقد أخذت نشوةُ النصر بعقل سليمان داي فجار في الحكم ، وأطلق يد الجند في البلاد فظلموا وعـــاثوا في الأرض فساداً . وأرسل في سنة ١٠٢٠ هـ[١] الى حاكم فزان (المنصور بن الناصر ابن المنتصر) يطلب منه أن يرسل اليه خراج فزان تمهيداً لدخولها تحت نفوذه . فامتنع المنصور بن الناصر ، فأرسل اليه سليمان جيشاً مؤلفاً من حوالي عشرة آلاف جنـدي . وخرج النـاصر لملاقاته خارج فزان ، بمكان يقال له (كفير) بين أم العبيـــد والرملة ، واقتتلوا قتالاً شديداً كانت الجولة الأولى فيه للمنصور ابن الناصر على جيش الترك .

وأعاد الترك الجولة على المنصور فكانت الغلبة لهم . وأُثخن المنصور بالجراح ، ومات متأثراً بها . وفرّ أخوه الطاهر بأسرتهم الى السودان وأخذ معه جميع أموالهم . واستولى الترك على فزان

---

(١) وفي النائب سنة ١٠١٦ هـ.

ولما تم لهم الأمر عينوا عليها واحداً منهم يقال له حسين النعال ورجعوا الى طرابلس .

وفي سنة ١٠٢٢ هـ ثار أهل فزان على حسين النعال فقتلوه ومن معه من الجند ولم ينج منهم إلا القليل ، وأرسلوا الى الطاهر أخو المنصور الذي ذهب الى السودان فجاء الى فزان وتولى حكمها .

ولما وصلت فلول الترك الى طرابلس أمر سليمان داي والي طرابلس بتخريب قرية تاجورة فدمروها وساموا أهلها سوء العذاب ، ونهبوا جميع أموالهم وكافة مواشيهم (١) .

ولما اشتدت وطأة سليمان داي على أهل تاجورة شكوه الى السلطان أحمد الأول فأرسل اليهم نجدة من الجيش في أسطول رسا على طرابلس سنة ١٠٢٣ هـ (٢) واستدعى قائد الأسطول اليه سليمان داي بوصفه مبعوثاً من السلطان . فجاءه في السّفينة ، فقبض عليه وشنقه في سارية السفينة أمام الناس . وأراح الله الناس من شره ، وذهب غير مأسوف عليه .

---

(١) هكذا يقول النائب . (٢) في النائب سنة ١٠٢٦ هـ .

- ٨٥ -

شريف باشا

ولاّه الجند بعد قتل سليمان داي سنة ١٠٢٦ هـ .

وشريف باشا هذا من أهل استانبول ، جاء الى طرابلس في عهد سليمان داي حكيماً يداوي المرضى وانتقل منها الى تونس ، ثم الى الجزائر . ومنها رجع الى طرابلس فوجد سليمان داي قتل ، فعينه الجنـد والياً على طرابلس ، بدون أن يرجعوا الى حكومة الآستانة .

ويقول عنه النائب : كان ذا شهامة ، أهلاً للقيام بما يسنـد اليه من أعمال . صائباً في رأيه عادلاً في حكمه . وأنزل برؤساء الجند المشاغبين ما يستحقون من العقوبة . وبقي والياً عليهـا الى سنة ١٠٣٥ هـ .

وفي هذه السنة ثار عليه الجند ، فتحصن منهم بالقلعـة وأغلق أبوابها . وما زالوا يحتالون عليه [١] حتى سلم نفسه اليهم فقتلوه .

---

(١) ذكر ابن غلبون الحيلة التي توصلوا بها الى القبض عليه .

وما زال الجنود يولون ويعزلون ، وحكومة الآستانة واقفة موقف المتفرج ، أو لا تدري شيئاً . والفوضى ضاربة أطنابها في طرابلس ، وإذا ما ثار العرب على هذه الفوضى وصفهم النائب بالمرتزقة وشذاذ الأعراب .

●

رمضان داي [1]

ولما قتل الجند شريف باشا سنة ١٠٣٥ هـ بايعوا واحداً منهم ، وهو رمضان داي والياً على طرابلس ، وكان ضعيف الارادة ، استولت على مشاعره امرأة بدوية يقال لها (مريم بنت فواز الشبلية) [2] يقول عنها ابن غلبون: إنها كانت امرأة أحد أُمراء الجند . فكان رمضان لا يَصدُر إلا عن إرادتها ، ولا يتحرك إلا بمشورتها . واستغلت ضعفه في مصلحة أقاربها ، وانتهزوا فرصة نفوذها فتصرفوا في غير المصلحة العامة ، وطمعوا في أن يفرضوا إتاوة على سكان المدينة وكانت تتوسط لدى الجند لتقضي لهم جميع رغباتهم .. وبلغ من قوة نفوذها أن

---

(١) هكذا ذكره ابن غلبون . وذكره النائب بالطاء بدل الدال .

(٢) من أولاد شبل : قبيلة عربيــة طرابلسية من الرواودة ، من قبيلة رياح من بني هلال .

مجلس الوالي كان يعقد بعض جلساته في بيتها . (هكذا يقول ابن غلبون) .

واستمر والياً على طرابلس الى سنة ١٠٤٠هـ أو سنة ١٠٤٢هـ وفي هذه السنة ظهر ضعفه وعجز عن حكم الولاية فتنازل عنها لمحمد باشا الساقسلي .

محمد باشا الساقسلي

أصله من جزيرة (ساقس) جزيرة من جزر الروم [١] . قدم الى طرابلس نوتياً في إحدى سفن النصارى ، وهو نصراني . وانتقل الى الجزائر وأسلم . واشتغل بغزو السواحل الاوربية . وجـــاء الى طرابلس أيام رمضان داي [٢] وأحب الدخول في جندها، وأخبر رمضان داي بهذه الرغبة، فأمر بقيده في ديوان رؤساء السفن . ووفق في عدة غزوات . وتزوج (مينا) بنت رمضان داي .

ولما ظهر عجز رمضان عن الحكم عرض عليه الساقسلي أن يتنازل له عن الولاية فتنازل له عنها سنة ١٠٤٠ أو ١٠٤٢ هـ[٣]. ولما أراد دخول القلعة خاف أن يمنعه الحرس . واتخذ من الحيلة ما مكنه أن يدخل هو وبعض أنصاره . ولمـا تمكنوا من دخول القلعة قتلوا الحرس الذي بها، وأعلنوا تنازل رمضان داي

---

(١) هكذا يقول ابن غلبون .
(٢) يقول النائب أنه جاء الى طرابلس أيام شريف باشا .
(٣) وهي رواية الأكثر كما يقول ابن غلبون

عن الحكم ، وولاية محمد الساقسلي ، وبايعه أهل المدينة واستولى على الخزانة .

وهكذا لا يعين وال في طرابلس أو يعزل إلا بواسطة الثورة والقتل .

ويقول النائب : (وأتاه التقليد من السلطان مراد الرابع) وكان عنده شيء من الحزم وقوة الارادة .

ولمناسبة مصاهرة الساقسلي لرمضان داي كان على علم بأسباب ضعفه ، وفي مقدمة هذه الأسباب نفوذ مريم بنت فوّاز الشبلية ، فدسّ السم لزوجها في الدواء – وكان مريضاً – فقتله . ولما خرجت من العدة – قال ابن غلبون – خطبها لنفسه ، وقيل لأحد علوجه ، وأمر بادخالها الى القلعة . وقد جاءت اليه بكل ما عندها من أموال وحليّ . وبعد أن استقرت في بيتها الجديد أمر بها فقتلت ، واستولى على كل ما جاءت به .

ولما تمت له البيعة ابتدأ بفرض الضرائب لضعف الخزانة : ففرض على الدور شيئاً . وأجرى بأبواب المدينة مكساً على الداخل والخارج وكان مقدار ما يأخذه من مكس الأبواب ألفين وخمسمائة ريال . وفرض على كل نخلة وزيتونة بيضة في كل سنة .

يقول ابن غلبون : (حكى من يوثق بخبره قال : حدّثت ممن أدرك ذلك أنه كان يأخذ على النخلة الواحدة « بيضة ») .

ويقول النائب : إنه استبدلهـــا بعشرين بارة في السنة . وهذه البيضة ، أو العشرون بارة كانت تجبى عند رأس كل سنة .

وان دلت ضريبة البيضة على شيء فانما تدل على بؤس الحالة الاقتصادية التي تعانيهـــا طرابلس ، والفقر المدقع الذي عم أرجاءها والاستبداد القاتل الذي أوصل البلاد الى هذه الحال.

وكوّن الساقسلي جيشاً من الفرسان لقمع محاربي الأعراب (كما يقول ابن غلبون). وكان عثمان الساقسلي[1] عاملاً على ساحل الأحامد ، فاستقدمه محمد الساقسلي وأسند اليــه رياسة جيش الفرسان . لمــا يعرفه فيه من صرامة وقسوة على العرب . وصار يغزو العرب في بيوتهـــم ، ويقول ابن غلبون : (فيحتال على رؤسائهم فيأخذهم بالأمان فيقتلهم حتى كسر شوكتهم ، وضرب الخراج على من استضعفه ودان له منهم) اه .

وماذا بقي لدى الطرابلسيين ليسلبه الترك منهم وقد عجزوا عن دفــع ضريبة البيضة . ثم ماذا بقي عندهم يعينهم على الثورة على ظـلم الترك ، وهم لا يملكون بيضة يدفعونها ضريبة ؟ . هذا قليل من كثير سيراه القارىء قريباً .

وفي أيام محمــد الساقسلي سنة ١٠٤٣ ﻫ ثارت تاورغة برياسة جبر بن موسى التاورغي فتصدى له عثمان في جيش من الترك ،

---

(١) هو عثمان باشا الساقسلي صاحب المدرسة المشهورة والذي تولى ولاية طرابلس بعد محمد الساقسلي ، وكان مولى لشريف باشا الوالي الأسبق .

ووقعت الحرب بينهم، ففر الأتراك وقتل كثير منهم، ورجحت كفة التاورغيين في الجولة الأولى . فترجل عثمان عـــن فرسه ، ونادى في فلول جيشه ، فالتفوا حوله ، وأعادوا الكرة عـلى جبر بن موسى فهزم هو ومن معه ، وعاثوا فيهم قتلاً وسبيـاً ، وفرّ جبر بن موسى، واحتل الترك تاورغة واستباحوها وأخذوا أموال جبر بن موسى – وكان من أكبر الأغنياء، وأسروا حريمه وأولاده ، وذهبوا بهم الى مصراتــه . وهناك في (قرية أولاد شوشانة) أمر عثمان بقتل جميع أولاده ، ومنع الناس من دفنهم في المقبرة العمومية ، ودفنوا خــارج البلد بنحو ميل ، في مكان يقال له (مسيد بن دخان) .

وفي أواخر سنة ١٠٤٣ هـ أراد محمد باشا الساقسلي أن يغزو أوجلة ، فبعث اليها جيشاً في البر بقيادة عثمان الساقسلي، وجيشاً من البحر ليسانده . وكان في أوجلة رجل يقـــال له أحمد ابن عبد الهادي [١] صاحب نفوذ فيها ورياسة . فلمــا أحسوا بجيش الترك قادماً عليهم تهيأوا لملاقاته دفاعاً عن أنفسهم وبلدهم. وقد علم عثمان – من جواسيسه الذين أرسلهم للاستطلاع – أن لديهم قوة كبيرة ، قد لا يمكنه التغلب عليها فجنح الى الحيلة والخداع على عادته .

ويقول ابن غلبون : (فأظهر لهم الأسف والندم على تعبه ،

---

(١) كان بمصر . وجاء الى برقة ومعه جماعـــة من أنصاره ، وأصبح ذا نفوذ في الجبل الأخضر وأوجلة ، ولا نعلم عن أصله شيئاً .

وقال : لو علمت أن أوجله هكذا بلدة في صحراء ، ليس لهـا ضياع ، ولا كثرة نخل ولا مياه لما قدمت اليهـا ، ولا أزعجت هؤلاء المساكين . وجعل يتأسف ، ويظهر الندم على ما فعله مع هؤلاء الفقراء ، حتى لم يشك أحد في ندمه .

وجعل يقول لهـم : ضعوا سلاحكم واريحوا أنفسكم ، واجعلونا في حل ممـا نالكم بقدومنا عليكم ، وأنا إن شاء الله أستريح يومين وأرتحل عنكم، وأخبر الأمير بحالكم ، وأرجو منكم أن تجعلوه في حل من فزعكم بسبب قدومنا عليكم . وقال لرئيسهم : يا أحمد إستوص بهؤلاء المساكين خيراً . وطلب منهم أن يدخل البلد ليصلي الجمعة ، وليراها ويخبر الأمير بحالها داخلاً وخارجاً) .

وهنا ابتدأت الحيلة تنطلي عليهم . واطمأنت نفوسهم لهذه المراوغات الثعلبية ، فسمحوا له بالدخول ووضعوا أسلحتهم ، وابتدأت الكارثة .

وفي الغد دخل ومعـه بعض الجند مسلحين ، وأمر بقية العساكر أن يحدقو بالبلد فأحدقوا بها. وبعد أن انتهى من صلاة الجمعة قبض على رئيسهم أحمد عبدالهادي وجعل يتتبع تجار البلد ويسلب أموالهم ، ويسجنهم . وسجن من النساء كل من لها مال حتى تؤديه ، وبالغ في النهب والسلب حتى نهب أقراط الصبيان من آذانهم وهي لا يزيد وزن الواحد منها على مثقال . ولم يترك في البلد ذهباً ولا فضة الا وأخذه. وجمع ما فيها من رقيق

وقيد رئيسهم الشيخ أحمـد ، وأتى به وبنسائه وحريمه وبنيه واخوته ومن له به صلة الى مدينة طرابلس ، وسلمهم الى محمـد باشا الساقسلي . وكان ما جمعه من الفضة شيئاً كثيراً) والى هنا انتهى ما نقله ابن غلبون .

هذه بعض سيئاته وهو قائـد لجيش محمد باشا الساقسلي . وسيأتي ما هو أشد وأفظع من قبيح أعماله وهو وال على طرابلس.

واستمر محمد باشا الساقسلي في ولاية طرابلس نحو سبع عشرة سنة ، وهو يغري ذلك الطاغية على التمادي في طغيانـه ، والطرابلسيون في جحيم مقيم وعذاب أليم يتمنون الموت ولا يجدون اليه سبيلا .

وفي سنة ١٠٥٩ هـ مرض محمد باشا الساقسلي والي طرابلس، وعاده طبيب افرنجي ، ووضع له سماً في تفاحة فأكلها ، ولما اشتد به الألم دعا بخازن داره وقال له : (أُوغْلوا أولَنْدُمْ) ومعناهـا : (يا ولدي مت) . ومات مسموماً . وكما تدين تدان [1] .

ولأجدادنا معه حساب طويل بين يدي الله تعالى .

---

(١) دفن في تربة رمضان داي على الطريق المارة للبحر شرقي المدينة . وبنى عليه سفاحه بناية عظيمة وأوقف عليها أوقافاً .

- ٨٨ -

عثمان باشا الساقسلي

ولاه الجند على طرابلس بعد موت محمـــد باشا الساقسلي . وأحب في بداية أمره - أن يتملق النـــاس - ، فألغى بعض الضرائب ، وأعطى للجند بعض النقود، وأبطل ضريبة التركات التي كان القضاة فرضوها على الناس. وكاتب السلطان محمد الرابع يطلب منه إسنـاد ولاية طرابلس اليه . وفي سنة ١٠٦٠ هـ أتاه التقليد بولاية طرابلس .

وأبدى نشاطاً في اصلاح القلاع وتأسيس الاسطول. وفي مدة قليلة بلغ عدد أسطوله أربعاً وعشرين قطعة . ويقول ابن غلبون: (وفي كل سنتين يجدد له السلطان تشريفاً . وكلما جاءه رسول من قبل السلطان أحسن اليه الاحسان الكلّي) .

ولما استقر به المقام في الولاية ذكرته طباعه الخبيثة ما كان عليه . واسمع ابن غلبون والنائب يحدثانك :

(فلما تمكن اشتد ظلمه ، ومنع التجار المسافرين لفزان من التجارة في النحاس وغيره ونادى في الناس ألا يتجر بذلك غيره.

وحجر على الناس شراء السلع المهمة القادمة من البحر . وأقام رجلاً لشرائها ودفع له مالاً يشتري كل سلعة تأتي من بلادالنصارى وغيرها . وهو يبيع لأهل السوق ، وبذلك ضعف أهل البلد والمسافرون لأرض فزان ، وضعف الجالبون حيث لم يصادفوا ربحاً بسبب الحجر عليهم .

وقال حسين بن أحمد : كان عثمان هذا داهية حازماً ، وكان ذا مكر وخداع ، لا يرقب في مؤمن إلاً ولا ذمة ، ومن عظيم ظلمه أنه كان إذا باع أحد الشركاء عقاراً ولو جزءاً لا يتجزأ أغرم البائع وغير البائع مكس العقار كله. وأخذ صاحب المكس مكسه كله ممن باع ومن لم يبع وربما كان من لم يبع يتيماً أو أرملة . ولم يزل يترقى في المكس الى أن بلغ أربعة وعشرين ألف ريال ، بعد أن كان ألفين وخمسمائة . وسلط على الناس القُوّاد ولم يقبل منهم شكوى . وأكثر من أخذ المكوس حتى أضرّ بالرعية وأجلاهم وشتت شملهم . ومن بقي منهم أغرمه ما لزم البلد كله .

وفرض على الفلاحين أن يحرثوا له مقداراً من أرضهم باسمه ويحصدونه ، ويأتونه بمحصوله . زيادة على ما يدفعونه من عشر محاصيلهم . وقد يستغرق ما على الفلاح من العشر كل محصوله ولا يبقى له شيء . وكان يولي مناصب الدولة الكبيرة حديثي العهد بالاسلام. وقدم عليه أبناء ابن أخيه وهم على دين النصرانية فختنهم وعينهم على البلدان قواداً ، فظلموا الناس ظلماً شنيعاً .

وتعدى ظلمهم الى الحرمات فكانوا لا يسمعون بامرأة جميلة إلا اغتصبوها من زوجها وفعلوا بهـا . وكانوا لا يسمعون بعروس زفت الى زوجها إلا افتضوها قبل وصولها اليه ، ولا يستطيع زوجها ولا غيره دفعاً ولا منعاً) .

ونقل ابن غلبون عن البهلول قال : (إن أحد قواده بساحل الأحامد جمع الرعية لخدمة بستان له هنالك ، فاجتمع أهل البلد كلهم ، فرأى فيهم غلاماً أمرد جميل الصورة فقبض عليه بمرأى من الناس وفعل بـه الفاحشة على أعين الأشهاد ، وكان أبوه من أعيان البلد ، فجعل يصيح مستغيثاً ، فأمر القائد غلمانه فقبضوا عليه وصرعوه ، ومـا زالوا يضربونه بالسياط حتى مات في موضعه) انتهى ما نقله ابن غلبون عن البهلول .

هذا بعض ما ظهر للناس من أعمال عثمان الساقسلي ، وما خفي كان أعظم .

وكان اذا غنم غنيمة وبهـا بضائع ، رمى تلك البضائع على التجار بأغلى ثمن ، واذا أراد التاجر بيع مـا أخذه بأربعين -- مثلاً -- فلا يبيعه بأكثر من ثمانية عشر لأنه لا يستحق أكثر . وعمد الى غصب أملاك الناس ، فكان اذا سمع بأحد باع عقاراً بعث اليه وأخذه ، وبعد أن يشهد العدول بالقبض يرسل اليه من يأخذ منه الثمن غصباً) .

ويطول بنـا الكلام لو أردنا ذكر كل أنواع الضرائب التي فرضها عثمان الساقسلي على جميع أنواع الشجر ورقاب النـاس

توصلاً الى سلب أموالهم بكل وسيلة ومن أي طريق .

وأخيراً ضاقت الصدور بظلمه الذي عم جميع النـاس حتى الحلاقين والحدادين والخبازين . وكان الجند في مقدمة المتذمرين من ظلمه .

وفي اليوم التاسع والعشرين من رجب[1] سنة ١٠٨٣ هـ ابتدأ الجند الثورة على عثمان الساقسلي وفي غرة شعبـان قرروا خلعه وقـد بذل محاولات كثيرة لانقاذ نفسه ففشلت ، وتحقق سوء المصير الذي ينتظره .

وبعد حصار دام أحد عشر يومـــاً ، وفي التاسع من شعبان سنة ١٠٨٣ هـ شرب هذا الطاغية سماً فمات ، وأراح الله الناس من شره .

قال البهلول : (ولو استقصينا ظلمه لجمعنـــا من ذلك شيئاً كثيراً) .

وما تركناه مما ذكره ابن غلبون أكثر مما نقلناه عنه .

---

(١) يفهم من النائب أن الحصار ابتدأ غرة المحرم سنة ١٠٨٣ هـ ويظهر أن التواريخ التي ذكرها النائب في بعضها شيء من التحريف . لذلك اعتمدت التواريخ التي ذكرها ابن غلبون .

- ٩٨ -

عثمان ريس[1] الشوهلي

الشوهلي : نسبة الى شوهلة : جزيرة منقطعة في البحر تجاه خانية [2] .

وبعد موت عثمان الساقسلي ولـّى الجند عليهم عثمان الشوهلي. ويقول عنه النائب : انه كان تقيـاً فاضلاً معظماً لحرمات الله . وبعد أن بايعه الحاضرون ، يقول ابن غلبون : (وكان ابراهيم ابن المصري في المحلة يقاتل ، فلما دخل بمن معه من الجند لم يرض بيعة عثمان وقال : إنما قاتلنا لنزع الملك من أيدي الروم وتمكين الترك منه) وتابعه على هذا الرأي جماعة من الجند . واتفقوا على عزله وتولية (بالي شاوش) فعزلوه ليلة العاشر من شعبان سنة

---

(١) الريس ، والرئيس : سيد القوم .

(٢) هكذا يقول ابن غلبون .

١٠٨٣ هـ ثم قتلوه بالجزيرة التي بالمرسى [١] .

وقد يجد القارىء خلافاً بين مـا ذكره النائب وابن غلبون من سيرة الشوهلي . والأمر يحتـاج الى أصل آخر يرجح أحد القولين .

---

(١) هذه الجزيرة كانت موجودة سنة ١٩١١ م في أوائـل الاحتلال الايطالي . وكانت تسامت جامع سيدي عبد الوهاب من الشرق الشمالي ، ولما أصلح الطليان المرسى أدخلوها فيه ولم يبق لها أثر . والمرسى - بفتح الميم وضمها - وجمعها مراس .

- ٩٠ -

بالي شاوش

وبعد أن قتل عثمان الشوهلي ولـّى الجند عليهم بالي شاوش . ويقول النائب : كان مقداماً ذا جفاء وغلظة تتبع أهل الفساد حتى أبادهم .

ومات بالي شاوش مريضاً ليلة الثاني والعشرين من صفر سنة ١٠٨٦ هـ . وبقي والياً ثلاث سنين وستة أشهر واثني عشر يوماً.

وأهل الفساد عند النائب هم العرب الثائرون على ظلم الترك واستبدادهم ، وكثيراً مـا وصفهم بذلك . وهذا منه ليس من الإنصاف في شيء .

مصطفى بهلوان

انتخبه الجند والياً على طرابلس ليلة الثاني والعشرين من صفر سنة ١٠٨٦ ﻫ وعقب وفاة بالي جاوش .

وكان بالي جاوش أرسل اسطولاً للغزو واتفق أنه لم يرجع الى طرابلس إلا بعد وفاته. ولما وصل الاسطول – وهو راجع – الى مصراتة سمع الجند الذي فيه بموت بالي جاوش وانتخاب مصطفى بهلوان والياً على طرابلس ، فلم يعجبهم ذلك ، ولما وصلوا الى طرابلس اجتمعوا بأعيان الجند وقرروا عزل مصطفى ، ولم يمض على انتخابه والياً إلا خمسة عشر يوماً . وقبضوا عليه ونفوه الى جربة ، وكان ذلك في سابع ربيع الأول سنة ١٠٨٦ ﻫ .

ابراهيم بن المصري (١)

انتخبه الجند والياً على طرابلس في السابع من ربيع الأول سنة ١٠٨٦ هـ بعد عزل مصطفى بهلوان .

ويقول عنه النائب : (كان حازماً معظماً لحرمات الله ، مؤثراً للعدل والانصاف ، لين العريكة ، شديداً على أهل الجور والفسق والتعدي من عماله وعسكره ، وأمنت الطرق في أيامه ، وعمّر القلاع وبنى البرج المعروف ببرج الشعاب) اهـ

ويقول عنه ابن غلبون : (ألزم العسكر عدم حلق ذقونهم ، وعدم لبس الحرير والذهب ، ومنعهم من المجاهرة بالزنا والخمر) اهـ .

ولم نطلع على أحد من ولاة الترك غيره وجه عسكره هذه الوجهة الدينية ، وألزمهم هذه الأخلاق الفاضلة .

ولم تسترح نفوس الجند لهذه الأوامر ، فبيتوا له الشر .

---

(١) ذكره ابن غلبون هكذا : (ابراهيم مصرلي أوغلي) .

وكان ابراهيم بن المصري أرسل اسطولاً للغزو فغنم ثـــلاث سفن انجليزية عليها بضائع ثمينة . فذهبوا بهـا الى الاسكندرية وباعوا ما فيها . ثم اتفقوا – قبل رجوعهم الى طرابلس – على خلع ابراهيم بن المصري نكاية فيه لأوامره التي ذكرناها آنفـاً ، وانتخبوا مصطفى الكبير الاستنكويلـّي .

وعلم ابراهيم بن المصري بمـــا بيته رؤساء الاسطول في الاسكندرية فأخـذ يتأهب للخروج من طرابلس . واستعمل الحيلة حتى تمكن من جمـــع أمواله وأهله وركب البحر الى الاسكندرية . ورؤساء الاسطول لا يعلمون شيئاً عـن سفره . ولما علم الجند الذين بطرابلس بسفره انتخبوا ابراهيم جلبي انبلـّي والياً على طرابلس .

ابراهيم جلبي أنبلّي [1]

أنبلـّي نسبة لأنبل . يقول ابن غلبون : (مدينـة بأرض المورة ، كثيرة الخير واسعة الخصب) .

انتخبه الجند والياً على طرابلس في اليوم الذي عزلوا فيه ابراهيم بن المصري لما أيقنوا سفره .

ولما وصل الأسطول الذي كان غـازياً الى طرابلس . وعلم قوّاده أن ابراهيم بن المصري سافر ، وأن الجند الذين بطرابلس انتخبوا ابراهيم جلبي والياً بـدل ابن المصري سقط في أيديهم ، وأيقنوا أنهم باءوا بالخيبة ، فنزلوا على عين الفضة - مكان شرقي الشعاب - وكان ذلك لاثنتي عشرة ليلة بقين من المحرم سنـة ١٠٨٧ هـ ودخلوا المدينة. وأعادوا أنبلـّي الى منصبه العسكري لكبر سنـه ، وولوا مصطفى الكبير وكان ذلك لسبع بقين من المحرم سنه ١٠٨٧ هـ .

---

(١) جلبي أو شلبي كلمة تركية ، وكثيراً ما تكتب الجيم ذات الثلاث نقط شيناً بالعربية .

- ٩٤ -

مصطفى الكبير الاستنكويلّي

قال ابن غلبون : نسبة لاستنكوي : جزيرة بها عدة قرى تجاه كارباغ لار . ومعناها البساتين السود ، وهي على ساحل الأناضول .

وقد اعتذر مصطفى عن عدم قبول الولاية بدعوى أن البلد لها وال [1] فلم يقبل الجند منه ، فقبل على شروطٍ ذكرها ابن غلبون ، ومن ضمنها : أن يتصرف في مفسدي الجند من غير مشورة أحد ، فوافقوه على ذلك . فقتل منهم كثيراً ونفى أكثر .

ويقول عنه النائب : (وكان ذا شجاعة وغلظة في أحكامه ، وشدة على من يخالفه . وكان متتبعاً لأهل الشر والفساد حتى أبادهم) .

واستمر والياً سنة وخمسة أيام إلى أن مات بالطاعون في غرة صفر ١٠٨٨ هـ . ومن النادر أن يموت وال في طرابلس بغير القتل . إما بالانتحار أو بيد غيره .

(١) يقصد ابراهيم جلبي الذي انتخبه الجند الذين كانوا في المدينة .

- ٩٥ -

عثمان وكيل الخرج[1]

يقول عنه النائب : (حسن الخلق ، لين العريكة) فانتخبه الجند والياً . وكان كبير السن . ولم يحصل في أيامه ما يكدر الأمن . واستمر والياً سنة وشهراً . وتوفي آخر ربيع الأول سنة ١٠٨٩ هـ . وهو من الولاة القلة الذين ماتوا بغير القتل .

(١) وكل اليه تفريق عيش الجند المفروض لهم . وكان علجاً لأحد الجزائريين .

آق محمد الحداد

آق : معناه الأبيض . بايعه الجند بالولاية بعد موت عثمان وكيل الخرج . وكان الحداد سيّىء الخلق ، راكبـاً هواه ، جباراً ، سيىء المنطق ، فاتفق بعض امراء الجند على قتله. ودبروا له حيلة لتنفيذ ما بيتوا ، ودعوه للاجتماع به . وقبل وصوله الى محل الاجتماع نبهه بعض الجند فرجع الى القلعـة . وقد وشى اليه بثمانية من الطرابلسيين فقبض عليهم ، فبعضهم قطع يديه ورجليه ، وبعضهم قطع يده ورجله من خلاف .

وأطلق يده في ظلم النـاس ، وسلب أموالهم ، وعاثت في أيامه الجنود . وسرت الفوضى في جميع البلاد . وسمع مصطفى جلبي — الوالي الأسبق — الذي كان منفياً بجربة ، فاتصل بالبادية ، ولحق بجبل نفوسه ، فالتف عليه المحاميـد وأعلنوا الثورة على آق محمد ، واختل الأمن في جميع البلاد .

وثار أهل غريان ، وكان قائدهم (مراد الارنؤوطي) [١] .

---

(١) في ابن غلبون (مراد المالطي) .

فجمع جماعة من الخيـــل وذهب الى طرابلس . وقد صادف مجيئهم مـــلالاً من الجند فمالت نفوسهم مع مراد ، ووثبوا على الحداد فقتلوه يوم ٢٨ من شعبان سنة١٠٩٠ هـ، ومدة ولايتـــه سنة وستة أشهر .

●

حسين أباظة[١]

وبعد أن قتل الجنود آق محمد الحداد عينوا حسين أباظة لثلاث بقين من شعبان سنة ١٠٩٠ ﻫ وقبل توليه الولاية كان قائداً في الجيش . ويقول عنه النائب : إنه كان عاجز الرأي واهي العزيمة. وأسند قيادة الجيش الى مراد الأرنؤوطي . وكان مراد هذا يميل الى الاستبداد ، طموحاً الى الرياسة .

وفي سنة ١٠٩٣ ﻫ امتنع النجيب بن محمد بن جهيم حاكم فزان عن دفع الخراج ، فذهب اليه مراد الأرنؤوطي في جيش ، والتقى الفريقان بمكان يقال له دُلَيم[٢] فكانت الهزيمة على النجيب وقتل في هذه المعركة واحتل مراد مُرزكا . ولما رجع الى المدينة اتفق مع الجند على خلع حسين أباظة ، وأعلموه برأيهم فاستسلم ، وقبضوا عليه ونفوه الى جربة. وكان ذلك في منتصف جمادى الآخرة سنة ١٠٩٤ ﻫ وبقي في الحكم ثلاث سنين وتسعة أشهر ، وخمسة عشر يوماً .

---

(١) في ابن غلبون : حسن عبازة .

(٢) قرية بينها وبين مرزك نحو خمس ساعات .

- ٩٨ -

يلك محمود [١]

وبعد أن نفى الجنود حسين أباظة الى جربة عينوا يلك محمود والياً عليهم . ولم يبق والياً إلا يومين ثم عزلوه.. و (يلك) كلمة تركية ومعناها (مجرى الماء) .

وهكذا يستبد الترك بطرابلس وتبلغ بهم الفوضى أن الوالي لا يبقى إلا يومين ولا يرجعون في شيء من تصرفاتهم الى حكومة الاستانة ، في الوقت الذي يسترون فيه فوضاهم هذه بانتمائهم الى الدولة العثمانية ، وهي تغط في نومهـــا لا تدري ما يجري وراء حدود الآستانة .

---

(١) هذا الوالي لم يذكره النائب .

- ٩٩ -

علي الجزائري

أصله روميلّي، ونسب الى الجزائر لترتبه في جندها. وسماه النائب (عبد الله الروملِّي) وكانت مبايعته لثلاث عشرة بقين من جمادى الآخرة سنة ١٠٩٤ ه . وكان ضعيف الإرادة، وترك الامور لمراد الأرنؤوطي يتصرف فيهـا كيف يشاء كما فعل مع من قبله .

وفي يوم الاثنين السادس من رجب سنة ١٠٩٥ ه هجم عليه مراد الأرنؤوطي وأعوانه، وعزلوه ونفوه الى بلاد الترك .

عبد الله الأزميرلي

عيّنه الجند بعد أن عزلوا عليّاً الجزائري ، وكان ذلـك في السادس من رجب سنة ١٠٩٥ هـ وكان ضعيف الارادة ، خائر العزيمة . واستبد به مراد الأرنؤوطي كما استبد بمن قبله .

والذي يمعن النظر في أحوال طرابلس منـذ عشر سنوات مضت تقريباً يرى كيف كان الترك منهمكين في سلب الأموال، وتزاحمهم على الولاية ، وقتل بعضهم بعضاً ، فقلّت حاميتها ، وانقسم الجيش على نفسه فرقاً وأحزابـاً ، وخلت الحصون من معدات الدفاع وانتشرت الفوضى ، وسئم الناس الحيـــاة في ظل هذا الحكم الفاسد، فكثرت الثورات، طلباً للعدالة التي هي أساس طمأنينة الناس على أموالهم وأرواحهم.

ولا ننسى — دائمـاً — تربص الاوروبيين بالبلاد الشرقية ، وانتهاز الفرص لاحتلالها ، والاستيلاء على خيراتهـــا وإضعاف أهلهـــا .

وقد رأى الإسبان — في الفوضى الضاربة أطنابها في طرابلس —

فرصة لاحتلالهـا ، فأرسلوا أسطولهم في أواخر جمادى الآخرة سنة ١٠٩٦ ﻫ الى طرابلس لاحتلالها . ورموهـا بالمدافع ، ولم يجدوا مقاومة لضعف الحامية براً وبحراً .

واستولى الخوف على السكان ، وذهب الأعيان الى الوالي – عبد الله الازميرلي – لبحث الأمر والوصول الى حل سلمي حيث أن البلاد عاجزة عن الدفاع . واستقر رأي الأكثرية على فرض غرامة حربية على السكان يدفعونهـا للاسبان ، ووافق الإسبان على ذلك ، ودفع الطرابلسيون الغرامة ، فأخذهـا الإسبان ورحلوا ولم يحتلوا البلد .

وذكر ابن غلبون شروطاً أخرى غير الغرامة الحربية ، لا تتفق – في نظري – مع تصريح النائب بأخذهم الغرامة الحربية ورحيلهم عن البلد .

ومما يلفت النظر ان النائب وابن غلبون اللذين ذكرا قصة هجوم الاسبان على طرابلس لم يذكرا موقف الحكومة العثمانية بالآستانة من هذه الحادثة ، مما يدل دلالة واضحة على إهمال الحكومة العثمانية شأن طرابلس، وترك أمرها لأولئك الأفاقين الذين كانت ترسلهم اليها يتصرفون فيهـا كما تسوّل لهم نفوسهم الشريرة ، ولا يخافون رقيبا .

وما زال مراد الارنؤوطي يسعى لعزل عبد الله الازميرلي حتى ألـّب عليه الجند، وقبضوا عليه لست بقين من ربيع الأول

سنة ١٠٩٨ هـ وحبسوه وقتلوا عامة أصحابه بعد أن قضى فى الولاية عامين وتسعة أشهر إلا تسعة عشر يوماً على رواية ابن غلبون . ويقول النائب : لسنتين وتسعة أشهر وعشرة أيام من ولايته .

●

ابراهيم الترزي

الترزي هو الخياط الذي يخيط الملابس .

ولاّه الجند في اليوم الذي عزلوا فيه عبدالله الازميرلي وهو ٢٤ من صفر سنة ١٠٩٨ هـ . وفي مقدمة من وافقوا على ولايته مراد الارنؤوطي .

وكان الترزي - كما يقول عنه النائب - شجاعاً حازماً .. وكان في مقدمة أعماله القضاء على مراد الارنؤوطي ، لأنه كان - دائماً - السبب المباشر في ثورة الجند على الولاة الذين قبله ، وعزلهم أو قتلهم [١] . وكان مراد يسكن المنشيّة . فجهز له الترزي جيشاً وانضم الى هذا الجيش المحاميد ، لأن مراداً كان حاربهم وقتل منهم كثيراً ، والتقوا بمراد ومن معه في مكان يقال له (عرقوب تاجورة) ، وكانت الدائرة على مراد ، وقتل

---

(١) يتضح هذا للقارىء من مراجعة تراجم الولاة السابقين وطول مدته في الجندية . وقد جاء ذكره في الثورة على الحداد سنة ١٠٩٠ هـ .

هو وكثير من أصحابه ، وأكل بعض الجند من لحمه تمثيلاً به لما لاقوا منه من سوء المعاملة .

وبقي الترزي في الولاية – بعد قتل مراد – سبعة أشهر .. وفي أواخر ذي الحجة سنة ١٠٩٨ هـ ثار عليه الجند بقيـــادة حسين كلايجي وخلعوه وعينوا بعده شائب العين .

●

محمد الامام

هو شائب العين المنسوب اليه المسجد المشهور بسوق الترك.. ولقب بشائب العين لأنه كان في إحدى عينيه شعرات بيض.. ولاه الجند يوم أن عزلوا ابراهيم الترزي في أواخر ذي الحجة سنة ١٠٩٨ هـ.

ويقول عنه النائب: (كان خيّراً تقيّاً، نزيه النفس واسع الصدر، ذا رأي وحزم وروية، ووجه أنظاره الى تحصين القلاع والأساطيل الحربية) وقد جاءه أمر التعيين بالولاية من السلطان محمد الرابع، فازداد مركزه قوة وثباتاً.

ولم يسلم من منافسة الأتراك والتربص به. وفي العشرين من المحرم سنة ١١٠١هـ جهز خمسة أساطيل للغزو، وأسند رياستها الى بعض الذين كانوا يناوئونه. فغنموا سفينة مملوءة ملحاً. ولما عادوا الى الثغر أمر بالقبض عليهم وقتلهم. فقتلوا بالجزيرة التي كانت بالمرسى قبل الاحتلال الايطالي [1].

---

(١) جزيرة صغيرة كانت بالمرسى. ولما أصلح الطليان المرسى أدخلوها فيه ولم يبق لها أثر.

وفي سنة ١١٠٢ هـ نقض الصلح الذي أبرمه عبدالله الأزميرلي مع إسبانيا . فأرسلت إسبانيا أسطولاً في آخر رمضان من هذه السنة لاحتلال طرابلس، وضربوها بالمدافع، ولم يفوزوا بطائل، وقـــد أبدى محمد الامام نشاطاً كبيراً في الدفاع حتى رجعوا خائبين .

ولم تخل أيامه من ثورات : ففي سنة ١١٠٦ هـ ثار النـاصر حاكم فزان وجاهر بالعصيان، فأرسل اليه جيشاً وأخضعـــه . وبقيت ثورة فزان في مد وجزر الى سنة ١١٠٨ هـ .

وفي هذه السنة ثار منصور بن خليفة الترهوني (سوق الذيب) والتقى بجيش الترك في أم اللـَّجَف فهـزم الترك . وبقي يتقلب بين سرت وبرقة ، وانتهى به الأمر الى أن قتل سنـة ١١٠٩ هـ على يد عبدالله بن عبد النبي الصنهاجي .

وفي يوم الاربعـاء لإحدى عشرة خلون من ذي الحجة سنة ١١١٢ هـ ثار به الجنـــد وخلعوه ، وأمنوه على أن يخرج من طرابلس ، وذهب الى الآستانة . وكانت مدة ولايته ١٤ سنـة و١١ يوماً . فذهب الى بلاد الترك ، وبقي هناك الى أن تولى صهره خليل قازداغلي ولاية طرابلس سنة ١١١٤ هـ فجاء به الى طرابلس هو وأهله في أول المحرم سنة ١١١٥ هـ وبقي بها الى أن توفي ودفن بالتربة المخصوصة به التي بلصق الجامع .

ويقول عنه ابن غلبون : (كان حليماً حسن السيرة ، لم يُرَ

مستعملاً لحرير ولا ذهب . وكان ملازماً للخمس في الجماعـــة ، ويؤم الناس اذا غاب من عينه للإمامة . كثير التوقير للعلمـاء) وذكر أوصافاً كثيرة أخرى تدل على مـــا كان يتصف به من الأخلاق الفاضلة. ويكفيه أنه بنى جامعه من مفروضه في الغنائم.

●

- ١٠٣ -

عثمان القهوجي

ويقال له الدرغوتلي . ويقول عنه ابن غلبون : (كان يطبخ القهوة بسوق الترك) ويقول عنه النائب : (كان فظاً ذا جفاء وغلظة ، عاجزاً عن القيام بأعباء الولاية) بايعه الجند في الليلة التي خلعوا فيها محمد الإمام .

وماذا يرجى من بائع قهوة ، رفعتـــه ظروف الفوضى إلى منصب وال ، أكبر وظيفة فيما بين حدود مصر وتونس .

وقبله كان الترزي ، وهو خياط ، وغيرهما كثير من محترفي المهن التي لا تتفق مع عظمة المناصب الكبيرة .

وهذا العهد المظلم الذي يتولى فيه الخياط وبائع القهوة منصب الولاية ، والذي عاشت فيه طرابلس نحو ٣٦٠ سنة — هذا العهد المظلم هو الذي أثر على طرابلس ثقافياً واقتصادياً ، وسياسياً ، وهو الذي قعد بها عن اللحاق بجارتيهـا مصر وتونس . وجـاء الاحتلال الايطالي في اكتوبر سنة ١٩١١ م وهي في أسوأ حال يعيش فيها عربي محكوم ، فزادت الحال سوءاً على سوء .

وبقي القهوجي والياً على طرابلس ثلاثـــة أشهر ، وخمسة وعشرين يوماً [1] . وفي غرة ربيع الأول سنة ١١١٣ هـ ثار به الجند وعزلوه .

(١) في النائب (عشرين يوماً) .

مصطفى غاليبولي

بايعه الجند أول يوم من ربيع الأول سنة ١١١٣ هـ - منسوب الى غاليبول : مدينة على ساحل البحر الأسود - .

ويقول عنه النائب : (وكان سيء الخلق شديد الوطأة ، فبسط في الناس الجور ، وسامهم الخسف ، واشتد على الناس عسفه) فثار عليه أهل غريان في رجب سنة ١١١٣ هـ فذهب اليهم بجيش ونزل وادي السهارة .

وكان خليل قاره داغلي صهر محمد الامام ذهب الى تونس لما عزل صهره ، ثم لحق ببلاد الترك واجتمع بصهره محمد الامام فجهز أُسطولاً وقدم به الى سرت ، في أيام مصطفى غاليبولي ، ونزل على الزعفران - مكان بسرت - وتلقاه عبد الله بن حمود الجبالي (أبو طرطور) لمعرفة قديمة بينهما . وصادف قدومه سآمة الناس من حكم مصطفى غاليبولي . وأيضاً فإن مصطفى كان مشغولاً بحرب غريان ، فانضم الناس الى خليل ، وتهيأوا للثورة على مصطفى غاليبولي .

وسار خليل في جموعه الى طرابلس ، وبلغ الخبر مصطفى ، فنهض للقاء خليل . ولما وصل وادي السمارة في طريقه الى ملاقاة خليل ، علم أن خليلاً أغزّ في السير على طريق الساحل، والتقى ببعض أعوان مصطفى في تاجورة فتغلب عليهـــم ووصل الى المدينة . وكان بها مصطفى (شوكلار) وكيل الوالي ، فسلمها لخليل لصداقة كانت بينهما. وانتقض الجند على مصطفى غاليبولي وقبضوا عليه وسلموه لخليل ، فأرسله الى تاورغة ، وأوعز بقتله الى الحاكم فيهـــا محمد بن علاق التاورغي فقتله . وكان ذلك في ربيع الآخر سنة ١١١٤ .

- ١٠٥ -

خليل قازداغلي

وسماه النائب (خليل القاره طاغلي) . استولى على الحكم في طرابلس في ربيع الآخر سنة ١١١٤ هـ بعـــد قتل مصطفى غاليبولي ، ولم يمانع أحد في ولايته ؛ لأن الناس سئموا حكم من قبله . وكان عزيز النفس ، عالي الهمة شجاعاً . وأتاه أمر التعيين بالولاية من السلطان مصطفى الثاني فتقوّى مركزه وقويت هيبته. وبذل جهداً كبيراً لإقناع الناس بالتزام الهدوء واحترام أوامر الحكومة. وأظهر لهم من العدالة وحسن النية ما جعلهم يركنون لصدق نواياه .

وفي سنة ١١١٦ هـ غزا الشريف حاكم تونس طرابلس فرده عثمان خائباً يجر أذيال الهزيمة .

ويقول عنه ابن غلبون : (وكان ذا نخوة، لم يؤثر عنه شرب مسكر . ولم تثبت عليه خيانة قط . قوي العزم . محباً لأهــل العلم . وإذا كتب توقيعاً على شيء لا يمكن الرجوع فيــه . وكان وفيّ العهد لا ينقض ما أبرم ولو عليه فيه مضرة . وكان يقول : ألقى الله بكل ذنب ولا ألقاه منشوراً لي لواء الغدر) . ويقول

عنه : (انه أول من اتخذ الحجّـــاب من ملوك [1] طرابلس ، وأول من لبس الحرير والذهب ، وأكثر المماليك من الروم. ونحا في ذلك منحى ملوك تونس .. وكان مروانياً في إرخاءِ عنان عبيده وظلم حاشيته) .

وفي سنة ١١٢١ هـ ثار عبدالله بن عبد النبي ، فذهب اليـــه خليل – أواسط شعبان – في جيش ، ولما بلغ مزده لحقه الخبر أن الجند بطرابلس خلعوا بيعته بزعامة ابراهيم ألَـيَـلي– وانتهى الأمر بخليل – بعـد حروب كثيرة – الى أن هرب الى مصر ، ومنها الى الآستانة في خبر طويل ذكره ابن غلبون .

ويقول عنه ابن غلبون : (وما درى أن الله يملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته) وهذه شهادة من ابن غلبون تدل على أنـــه أُصيب بحمى الترك ، وهي نزوعهم دائماً الى الظلم والاستبداد ، على الرغم مما ذكروا له من صفات تبدو أنها حميدة .

وكان بعض ولاة الترك في طرابلس يتكلف – في بادىء أمره – صفات حميدة خداعاً للناس ليستجلب رضاهم من هـذا الطريق ،حتى اذا ما واتتهم الفرصة قلبوا للناس ظهر المجن وظهروا بصفاتهم الحقيقية ، وهي الاستبداد بالناس والجور في الحكم .

---

(١) عبر ابن غلبون بكلمة ملوك .

ابراهيم الأركلي ألَـيْلي [١]

استولى على البلد في غيبة خليل، وبايعه الجند وعزلوا خليلاً. وكان ذلك حوالي شعبان سنة ١١٢١ هـ اكتوبر ١٠٧٩ م وأوقع ابراهيم بأنصار خليل قتلاً ونفياً .

وكان قار محمد الأناضولي ممن نفـــاهم ابراهيم الى المغرب ، فتمكن من الرجوع عن طريق البادية ، واجتمع عليه الأعراب. وأتوا غريان وأعلنوا خلـــع بيعة ابراهيم ، ووصلوا الى تاجورة فالتقوا بجيش ابراهيم بقيادة محمد الجن [٢]، في أواخر رجب سنة ١١٢٢ هـ سبتمبر ١٧١٠ م فهزم قار محمد ورجع بمن بقي مـــن أنصاره الى ناحية الجبل .

وفي الخـــامس عشر من رمضان سنة ١١٢٢ هـ ١٧١٠ م ثار الجند بقيادة محمد الجن على ابراهيم الأركلي ، وحاصروه بقصر الحكومة ، وقبضوا عليـــه ونفوه الى الاسكندرية .. ومدة ولايته سنة وشهر ونصف .

---

(١) نسبة الى لأليل : بلد من بلاد الأناضول .
(٢) لقب بالجن لقسوته على الناس .

اسماعيل خوجه

كان إماماً يصلي بالناس في جامع الخروبة ، وكان الناس يرغبون في ولاية محمد الجن ، ولكنه رفض ، وأشار على الناس بانتخاب إسماعيل خوجه فانتخبوه، وباشر عمله أول شوال سنة ١١٢٢ ﻫ نوفمبر سنة ١٧١٠ م وطغى عليه نفوذ محمد الجن ، ولم يبق له من الولاية إلا الإسم .

ويقول ابن غلبون : (واشتغل أول أمره بنفي طغاة الترك وقتلهم حتى أبادهم جميعاً إلا القليل منهم وزال الملك من أيديهم ، وتولاه الكول اوغلية) .

وأنف الجند من استبداد محمد الجن بالأمر ، فثاروا على اسماعيل الخوجه وقبضوا عليه في آخر ليلة من ذي القعدة سنة ١١٢٢ ﻫ ومدة ولايته شهران .

وحسب تعبير ابن غلبون أن إسماعيل الخوجة آخر وال تركي في طرابلس . وبعده تولّى ولايتها الكول اوغلية (الكوارغلية) وأولهم الحاج رجب .

- ١٠٨ -

الحاج رجب

هكذا سماه ابن غلبون . وسماه النائب : (الحاج مصطفى طاي) واتفقا في ذكر الحوادث واسم الوالي الذي بعده .. وقد غدر به (أبو مُويس) - كاتب الديوان - فقتله في العشر الأخير من جمادى الاولى سنة ١١٢٣ هـ .

محمود أبو أمّيس (١)

بايعه الناس على مضض بعد أن قتل الحاج رجب ، لأنهم كانوا غير راضين عن فعلته .

ويقول عنه النائب : (كان طائش الحلم ، لسانه سلم موادع ، وقلبه حرب منازع ، وأظهر من حسن الخلق ولين العريكة ما استمال به قلوب الجند حتى انتخبوه . ولما نال قصده أسرع الى النكوص ، وأقبل على التعدي ، وأظهر من الجفاء والغلظة ما لم يظن به) .

وأراد أن يبطش بأحمد القره مانلي — وكان من أعيان الجند — فأرسله الى غريان ، وأوعز الى العامل فيها بقتله . وقد فطن أحمد القره مانلي لهذه المكيدة ، فرجع الى المدينة في الثاني من جمادى الآخرة سنة ١١٢٣ هـ يونيه سنة ١٧١١ م واجتمع بأهل الديوان فعقدوا مجلساً واتفقوا فيه على خلع أبي امّيس وولاية أحمد القره مانلي .

(١) هكذا ينطق به الناس ويكتبونه . وأصله (أبو مويس) على تصغير الموسى .

وفي يوم الثلاثاء الحادي عشر من جمادى الآخرة سنة ١١٢٣هـ قبضوا على محمود أبي اميس وخلعوه عن الحكم بعد خمسة عشر يوماً من ولايته .

وبخلع أبي اميس انتهى العهد التركي الأول ، وابتدأ بعده عهد القرمانليّة .

ابتدأ العهد العثماني الأول بمراد أغا في شعبان سنة ٨٥٨ هـ وانتهى بمحمود أبي اميس في جمادى الآخرة سنة ١١٢٣ هـ . ودام ٢٦٥ سنة مائتين وخمسة وستين سنة .

وابتدأ عهد القرهمانلية ، وأوله أحمد القرهمانلي .

العَهدُ القَدِيمُ مَا نَلِي

أحمد القره مانلي [١]

بويع بالولاية يوم الثلاثاء الحادي عشر من جمـــادى الآخرة سنة ١١٢٣ هـ يوليه سنة ١٧١١ م . وحاول أبو امّيس أن يظهر بمظهر المعارض . ولكنه فشل فشنق نفسه في اليوم الثـاني من ولاية أحمد باشا وانتهى أمره .

وكانت مبايعة أحمد باشا بالاجماع . وكان عمره يقـــارب الخامسة والعشرين .

ويقول عنه النائب : (اتخذ جمعية علميـــة لحسم النوازل والمحاكمات الشرعية ،وكان ليّـن العريكة يُؤثِر العدل والانصاف) وجاءه التقليد بأمر الولاية من السلطان أحمد الثالث .

ويقول عنه ابن غلبون : (وهو الذي أسس قوانين الدولة ، وأحيا رسوماً دائرة من قواعدها) .

ولمـا تم له الأمر ، واستولى على الحكم عمل مأدبة كبيرة في بيته الريفي بقرب الهاني ، ودعا اليها عدداً كبيراً من الضبـاط

(١) اسرة القرهمانلي : اسرة تركية من آسيا الصغرى .

الأتراك من الذين يخاف أن يكيدوا له ، فقتلهم ، وكانوا نحو ثلاثمائة .

وكان عهده أحسن عهود الاسرة القرهمانلية في طرابلس بل وأحسن العهد التركي كله. ويطول بنا الكلام لو تتبعنا كل أعماله التي يستحق عليها الشكر . وقضى على كثير من الثورات .

وفي آخر أيامه أفلت منه زمام الأمر ولم يمكنه تلافيــــه ، فرأى في الانتحار راحة خيراً مما هو فيه ، وفي اليوم الرابع من نوفمبر سنة ١٧٤٥ م الموافق ١٦ من شوال سنــة ١١٥٧ هـ أفرغ مسدسه في بطنه فمات منتحراً وله من العمر ٥٩ سنــة ودفن في مقبرة جامعــه المشهور بجامع أحمد باشا وبقي في ولاية طرابلس ٣٣ سنة ونصفاً .

والى هنا انتهى ما ذكره الاستاذ ابن غلبون من ولاةطرابلس رحمه الله وشكراً له .

محمد القره مانلي

هو ابن أحمد باشا القره مانلي . أُسندت اليه الولاية يوم وفاة والده . ويقول عنـــه النائب : (ولم تظهر في أيامه مناقشات داخلية، بما مهد له والده) وتوفي في شوال سنة ١١٦٧ هـ. ويقول عنه رودلف ميكا كي : (وفي أيامه كثرت الثورات . وفي آخر أيامه اعتلت صحته بسبب ادمانه شرب الخمر فاضطربت حياته، وتوفي يوم ٢٤ من يوليو سنة ١٧٥٤ م وله من العمر ٤٥ سنة ،ودفن الى جانب والده بمقبرة جامع أحمد باشا) .

- ١١٢ -

علي القره مانلي

هو ابن محمد القرهمانلي . تولى بعد وفــاة أبيه في شوال سنة ١١٦٧ هـ – يوليه سنة ١٧٥٤ م وعمره ٥٣ سنة .

ويقول عنه النائب : (وفي آخر ولايته ساءت حالتـــه ، وأهمـــل التنسيقات العسكرية ، وانحلت عرى الايالة ، وصار السلب والنهب بالسبُل والأسواق) .

ويقول عنه رودلف ميكاكي : (وقـــد استسلم لليكجرية (الانكشارية) فسلبوه الارادة ، وصاروا يحكمون البلد باسمه وليس له من الأمر شيء ، وفي أيامــه سنة ١٧٦٧ أُصيبت البلاد بقحط شديد ، وهاجر كثير من الناس الى تونس ومصر . وفي عهده سنة ١٧٨٥ م أُصيبت طرابلس بطاعون انتشر في جميــع القطر ، ومات من سكان المدينة وحدهــا سبعة وعشرون ألف شخص . وكان عهده عهد قلاقل . ولم يكن لديه من القوة مــا يؤهله للصمود أمامها .

واضطر الطرابلسيون الى الإستنجاد بحكومــة الآستانة ، فأرسلت اليهم نجدة في ٢٩ من يوليـــة سنة ١٧٩٣ م – ذي الحجة ١٢٠٧ هـ .

علي برغل

ويفهم من كلام النائب أن علي برغل كان على رأس النجدة التي أرسلتها حكومة الآستانة ، وليتهـــا لم تفعل ، ولو قدر الإجرام أن يتجسم لكان هو علي برغل .

وأصل علي برغل من عساكر الجزائر ، وكان غنياً مفرطاً في الغنى. ذهب الى الآستانة بأمواله الطائلة ، وكان ينشد الرياسة ، فتوسط لدى حكومة الآستانة ، وشرح لها حال طرابلس ومـا فيها من الفوضى والفقر ، فقُبل رجاؤه ، وجاء على رأس النجدة التي أرسلتها حكومة الآستانة الى طرابلس لتنقذهـــا من البلاء الذي حل بها في عهد علي القرمانلي . ولكن اتضح أن الامر : كالمستجير من الرمضاء بالنار .

ولما وصل طرابلس هرب علي القرمانلي الى تونس ومعه بعض حاشيته وترك البلاد لعلي برغل فاستولى عليهـا ، وأرهق الناس بالضرائب ، وكان قاسياً في حكمه. وحدّثته نفسه باحتلال تونس ولكنه لم ينجح .

ويقول عنه رودلف ميكاكي : (ودام حكمه نحواً من سنة

وخمسة أشهر . وكان قاسياً في حكمه . وفي ليلة التاسع عشر من يناير سنه ١٧٩٥ م ذبح مـا عنده من الرهائن والأسرى ، وحمل ما اغتصب من أموال في سفينتين وهرب الى مصر .

ويقول عنه الجبرتي : (أصله مـن مماليك محمد باشا حاكم الجزائر ... ولما استولى على طرابلس أباحها لعسكره ، ففعلوا بهـا أقبح وأشنع من التمرلنكية [١] من النهب وهتك النساء والفسق والفجور . وسبى حريم متوليهـا وأخذهن أسرى . وفرض على أهل البلد وأخذ أموالهم) .

وقد أراد علي القره‌مانلي أن يرجع الى طرابلس ، وأعانه حاكم تونس على ذلك . ولمـا وصل الى طرابلس حاصرها . وأحس علي برغل من نفسه أنه لا قدرة له على الدفاع ، قـال الجبرتي : (نزل الى المراكب بما جمعه من الأموال والذخائر ، وأخذ معه غلامين جميلين من أولاد الأعيان شبه رهائن وهرب الى الاسكندرية ، وحضر الى مصر ، ونزل ضيفاً عند مراد بك وأنزله في قصر بالجيزة .

وحجّ علي برغل في سنة ١٢٠٧ هـ . ولمـا كان بالحجاز رآه الحجاج الطرابلسيون ومعه الغلامان فذهبوا الى أمـير الحج الشاميّ وعرّفوه عنه وعن الغلامين ، وأنه يفعل بهما الفاحشة ، فأرسل معهم جماعة من أتباعه في حصة مهملة وكبسوا عليه على

---

(١) أنصار تيمورلنك .

حين غفلة ، فوجدوه راقداً ومعـــه أحد الغلامين ، فسبه الطرابلسيون ولعنوه وقطعوا لحيته ، وضربوه بالسلاح وجرحوه جرحاً بالغاً ، وأخذوا منه الغلامين وكادوا يقتلونه لولا جماعة أمير الحج .

وكان أبيض اللون ، عظيم اللحية والشوارب ، قليل الكلام بالعربية ، يحب اللهو والخلاعة) الى آخر كلام طويـــل ذكره الجبرتي اختصرنا منه هذه النبذة .

وهذا نوع من الحكام الأتراك الذين كانت ترمي بهم حكومة الآستانة الى طرابلس ليحكموا العرب المسلمين ، ويسعوا لرقي البلاد الاسلامية .

ولا يسعنا إلا أن نقول : (حسبنا الله ونعم الوكيل) .

- ١١٤ -

أحمد القره مانلي الثاني

هو ابن علي القره مانلي . تولى الحكم بعد هرب علي برغل الى مصر[١] ، ولكن الحكومة العثمانيـــة لم تعترف به حاكماً على طرابلس، ولم يكن له اهتمام بشؤون الحكم. ويقول عنه ميكاكي: (وكان سكـيراً منهمكاً في ملذاته . ولم يلبث أن عزله أخوه يوسف واستولى على الحكم . وعيّنه حاكماً على بني غازي ودرنة . وفي أثناء سفره الى بني غازي اضطرتـه العواصف الى جزيرة مالطة ، ومنهـا ذهب الى تونس ورفض المنصب) وكان ذلك في شعبان سنة ١٢١٠ هـ – فبراير ١٧٩٦م وبقي في الحكم سنـة وشهرين .

(١) كان هروبه في رجب سنة ١٢٠٩ هـ .

يوسف القره مانلي

هو ابن علي القرهمانلي ، وأخو أحمد الثـاني . تولى الحكم في طرابلس سنة١٢١١هـ-١٧٩٦م، وفي هذه السنة جاءه التقليد من السلطان سليم الثالث . وأبدى همة كبيرة في إصلاح مـا أفسده مَن قبله حتى استعاد ثقة الناس به . واهتم بإعادة النظام ليشعر السكان بالطمأنينة التي فقدوها في عهد مَن قبله . وفي أيامه قوي الأسطول الطرابلسي وأصبح مرهوب الجـانب بين الأساطيل الأوربية. ويقول عنه ميكاكي : (وكانت له معاهدات واتفاقات تدل على مضاء إرادته وقوة عزيمته . وله سيرة يطول ذكر مـا فيها من مغامرات وسداد رأي) .

وفي أيامه سنة ١٢١٧ هـ – ١٨٠٢ م غزت أمريكا طرابلس وضربتها بالمدافع ، ورجع أسطولها خائباً الى مالطة . وفي سنة ١٢١٨ هـ ثار أهل غريان بزعامة الشيخ عبد الوافي . وفي سنـة ١٢٢١ هـ ثار أحمد سيف النصر ، وتعرض لبعض سفن الأجانب كانت بمرسى سرت .

ويقول عنه النائب : (ان يوسف باشا لمـا انتقل من طور

الشبيبة الى طور المشيب استهان بأهل الايالة، وحمّلهم - بمقتضى ما كان له من إطلاق التصرف من مصاريف شهواته وألوان لذاته - أكثر من طاقتهم ، حتى آل الأمر الى فاقته وفاقتهم ، وباع من أسطولها الحربي ، وسكّ مدافعها النحاس فلوساً، وأرخى عنان التصرف لأبنائه وأصهاره ، وقسم الايالة بينهم : فأعطى ابنه علياً غريان ولمصطفى (مصراته) ولعثمان (الخمس) ولعمر (اورفلة) ولإبراهيم (زليتن) ولمملوكه مصطفى (درنة) وأرسلوا العمال من طرفهم ، وساءت سيرتهم ، وعظم ظلمهم ، واتخذوا طرقاً للجباية وفق مصالحهم الذاتية ، وغير ذلك مما نُقم من أعماله ، وأذن بزواله ... وانهمك في اللذات ومعاشرة المضحكين والصفّاعين وسماع الألحان) .

ويقول عنه ميكاكي : (وفي عهده كثرت الثورات عليه ، فاضطرته كثرة الانفاق عليها الى الاقتراض من الأجانب ، والى فرض الضرائب على السكان فضجّوا من كثرتها . ووجد قنصل الانجليز وقنصل فرنسا سبيلاً الى الدس ضده ، وتخلى عنه كثير من أنصاره ولم يجد سبيلاً للخروج من هذا المأزق إلا التخلي عن الحكم. وفي يوم ١٢ من أغسطس سنة ١٨٣٢م - ربيع الآخر سنة ١٢٤٨ هـ عقد اجتماعاً حضره أولاده ووزراؤه وأعيان البلاد وعلماؤها ، وقرر تنازله عن الحكم لإبنه علي ، وجعل ابنه ابراهيم ولياً للعهد) . وبقي في الحكم واحداً وعشرين عاماً .

والى هنا انتهى عهد يوسف القرهمانلي بما له وما عليه .

وكان عهـداً مليئاً بالثورات ومعاكسة الأجانب انتهى بهـذه النهاية .

وفي النائب كثير من هذه الخلائق التي إن دلت على شيء فإنما تدل على الضعة والانهماك في الشهوات، وإهمال ما به قوام الحيـاة الخلقية، وما تفرضه على الرجل الشهامة وعزة النفس .

وقد يجد الانسان في بداية حكم يوسف القرهمانلي مـا يفسح المجال للأمل في الإصلاح حتى إذا ما قارب النهاية من سيرتـه وجد من الشناعات مـا يبعث الحسرة ويفتح باب اليأس على مصراعيه ، ويرغمه على القول بأن عهد الترك هو السبب المباشر الذي قعد بطرابلس عن اللحاق بجارتيها مصر وتونس .

علي القره مانلي الثاني

هو ابن يوسف القرهمانلي ، تولى الحكم في طرابلس بتنازل من والده يوسف في أغسطس سنة ١٨٣٢ م ربيع الآخر سنة ١٢٤٨ هـ . وقد بذل جهداً كبيراً لاستتباب النظام ، ولكنه لم يوفق لأنه كان مكروهاً من الشعب لشدة قسوته وخصوصاً على الجند .

وتولى الحكم والثورة قائمة من عبد الجليل سيف النصر ، وانضم اليه غومة المحمودي ، وعثمان الأدغم .

وفي غرة ربيع الآخر سنة ١٢٤٩ هـ — ١٨٣٣ م أتاه التعيين من قبل السلطان محمود الثاني ، ولكن الثوار أصروا على عدم الاعتراف بولايته . وكثرت في أيامه الثورات .

ويقول النائب : (ودامت هذه الفتن والحروب الأهلية نحو العامين) .

وفي أوائل المحرم سنة ١٢٥١ هـ-٢٦ مايو سنة ١٨٣٥م رسى أسطول عثماني على أطرابلس مؤلف من اثنتين وعشرين سفينة

يحمل نجيب باشا ومعـه أمر السلطان بتوليته ولاية طرابلس . وفي اليوم الثامن والعشرين من مايو المذكور دعي علي القرهمانلي الثاني الى الاسطول ، وبعد أن صعد الى سفينة القائد نجيب باشا أبلغه أنه معزول ، وأنه يجب أن يذهب الى القسطنطينيـة هو وأسرته ومن يريد أن يستصحبه معـه . ونزل نجيب باشا وتسلم الولاية ، وقرىء على الناس أمر تعيينه .

ويقول النائب : (وقتل محمد القرهمانلي نفسه . وفرّ أخوه أحمد الى مالطه ، وأرسل علي القرهمانلي الى الآستانة. وانقرض بيت آل القرهمانلي وتفرقوا أيـدي سبأ ، وحصل المنى [١] . والله يؤتي الملك من يشاء ، وينزعه ممن يشاء . ويعز من يشاء . ويذل من يشاء .

وهذه ثمرة التصرف بالشهوات ، وغض الطرف عن الفوائل والآفات . واستعمال الشدة في موضع المداراة) اه .

ابتدأ العهد القرهمانلي بأحمد باشا القرهمانلي في جمادى الآخرة سنة ١١٢٣ هـ وانتهى بعلي القرهمانلي الثاني في أوائل المحرم سنة ١٢٥١ هـ ودام ١٢٨ سنة . مـائة وثمانية وعشرين سنة وابتدأ العهد العثماني الثاني ، وأوله نجيب باشا .

---

(١) تفيد هذه العبارة أن الناس كانوا يضيقون به ذرعاً ويتمنون زواله. وقد فرحوا لما انقضى عهد القرهمانلية .

ملحوظة : تاريخ النائب (المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب) طبع لأول مرة في الآستانة سنة ١٣١٧ هـ ، وبترخيص من نظارة المعارف التركية رقم (٧٣٨) وأشرف على طبعه صاحب مطبعة تركية ، وفي بلاد تركية ، وعلى مرءاً ومسمع من الترك .

ولو كان ما فيه من الأخبار عن الترك التي نقلنا بعضها غير صحيحة ، أو في محل الشك ، لما كانت نظارة المعارف التركية ترخص في طبعه.. وما كنا نكره أن لو كان ما فيه من الأخبار عن الترك على غير هذا الوجه .. والعاقل من اتعظ بغيره .

نجيب باشا

أول والٍ على طرابلس بعد عهد القرهمانلية ورجوع تبعية طرابلس الى الآستانة رأساً . عيّنه السلطان محمود الثاني من الآستانة . وقدم طرابلس في المحرم سنة ١٢٥١ هـ - ١٨٣٥ م في اسطول كبير . واحتفل بقدمه ، واستقبل في اسطوله . ويقول النائب : (وحلّ ببيت الباشوات) وأحضر القاضي والمفتي والعلماء والأعيان وأعلن ولايته أمامهم . وفتحت أبواب المدينة لأنها كانت مغلقة بسبب الثورات التي كانت تحيط بها . وهدأت الثورة .

وكان في مقدمة عمله أن أرسل بقية الاسرة القرهمانلية الى الآستانة ، ولم يبق منها إلا يوسف الذي طعن في السن وأبقى معه أولاده من النساء السودانيات .

وفي صفر -بعد شهر من ولايته- عقد مجلس صلح من أعيان البلاد وعلمائها ، بجامع طورغود باشا. وتم الصلح بين المتنازعين، وتعهدوا بدفع الضرائب للحكومة ، وهذا كل ما أسفر عنه

الاجتماع . كما أُلّفت لجنة لدى الحــاكم الشرعي (الشيخ أحمد التوغار) للفصل في الدعاوى الشرعية .

وفي صفر سنة ١٢٥١هـ-مايو سنة ١٨٥٣ جاء الى نجيب باشا الشيخ غومه بن خليفة المحمودي -في جماعة من رؤساء المحاميد- وكانوا ثائرين على الحكم الفاسد الذي كان قبــل نجيب باشا - واتفقوا معه على مسالمة الحكومة .

ولم يذكر لنا النائب ما دار بينهم من الحديث ، ومــا سبب ثورتهم ، وما سبب قدومهم اليه طائعين . ومجيء الشيخ غومــة في هذه المشيخة المحترمة أكبر دليل على أنهم إنمــا ثاروا على الظلم والفساد الذي كان منتشراً ، بدليل أنهم لما أنسوا من نجيب باشا الركون الى السلم والهدوء جاءوا اليه من تلقاء أنفسهم ، وبدون أي تكليف لهم .

ولكن نجيب باشا لم يتنــازل عن تركيته وأبت عليه أن يقابل الرجولة بمثلها ، فأذن لرفاق الشيخ غومــــة بالرجوع الى أهلهم ، وحبس الشيخ غومة . ويقول النائب : (بإغراء بعض أرباب الغايات) وبقي الشيخ غومة في الحبس حوالي أربعــة أشهر ، الى أن أُطلق سراحه أيام (محمــد رائف) الوالي الذي جاء بعد نجيب باشا .

ولما كان الشيخ غومة طليقاً في باديته لم يقدر ولاة الترك أن

ينالوا منه . ولما حملته النخوة العربيـــة على طلب السلم ، أبت العنجهية التركية إلا أن تظهر بمظهر القادر ، وحبسه نجيب باشا وهو ضيف عنده .

ولم نطلع لنجيب باشا على أعمال تذكر . وحدّثته نفسه بأن يضرب سكة بدون إذن السلطان ، فعزل بسببها . وكانت مدة ولايته أربعة أشهر ونصفاً .

●

محمد رائف

عيّن والياً من الآستانـــة . ووصل الى طرابلس منتصف جمادى الأولى سنة ١٢٥١ هـ- أغسطس سنة ١٨٥٣م وهو الذي أطلق غومة من سجن نجيب .

وكانت والدة محمد القرهمانلي حفيد يوسف القرهمـــانلي ، وأخته بتاجورة ، فطلب مجيئهما الى طرابلس ، ويقول النائب : (لأسباب سياسية) فامتنعتا ، واستجارتا بأهـــل تاجورة ، فأجاروهما ، فهاجم تاجورة في أوائـل شوال سنـة ١٢٥١ هـ ، فاستسلمت ، وفرت والدة محمد القرهمانلي الى مصراتة .

ورأت الآستانـــة أن الأمور في طرابلس غير مستقرة ، فأرسلت طاهر باشا في قوة بحرية كبيرة ، ووصل الى طرابلس في أوائل ربيع الأول سنة ١٢٥٢ هـ - يونيه سنة ١٨٣٦ م.

وكتب الى جميع الجهات يطلب من الناس الخضوع وتقديم الطاعة له. وكان عثمان آغا الأدغم مستقلاً بمصراتة [١]. وضرب

(١) استقل بمصراتة في أيام علي القرهمانلي الثاني.

موعداً للرد عليه . وانتهى الموعد ولم يجبه أحد .

وفي أواسط ذي القعدة — وبعد تسعة أشهر من انـذاره — هجم على مصراتة براً وبحراً ، فلقيـــه عثمان الأدغم في جموع حاشدة ، فتغلب عليها وفرّ عثمان الأدغم الى ترهونـة ، ورجع طاهر باشا الى طرابلس . وبعد رجوعه بأيام غزا ترهونـــة ، فأخضعها وقبض على عثمان آغا (١) الأدغم وابنه .

وفي أوائل ذي القعدة سنة ١٢٥٢ هـ غزا غريان فلقيه غومة في جموعه ، وهُزم طاهر باشا وقتـل كثير من عسكره ، وغنم غومة مدفعاً وكثيراً من المهمات الحربية .. كل هذه الحروب التي قام بها طاهر باشا أيام ولاية (محمد رائف) وفي أثنائها عزل محمد رائف وعيّن بدله طاهر باشا .

(١) هي رتبة تركية فيها معنى الرئاسة .

-١١٩-

طاهر باشا

أتاه التعيين والياً على طرابلس من قبل السلطان محمود الثاني في أواخر ذي القعدة ، أو في ذي الحجة سنة ١٢٥٢ هـ — مارس سنة ١٨٣٦ م. واتفق مع الشيخ غومة وعيّنه مديراً على غريان، ورد الشيخ غومة المهمات الحربية التي كان استولى عليها من طاهر باشا .

وردُّ الشيخ غومة تلك المهمات الحربية دليلٌ على أن حربه للترك كانت لطلب إصلاح الحكم الفاسد ، وإجراء العدالة ، واستقرار النظام والأمن .

وبقي طاهر باشا في الحكم الى المحرم سنة ١٢٥٣ هـ ، ثم عزل وذهب الى الآستانة ، وأخذ معه عثمان الأدغم .

حسن الجشمهلي

عيّن والياً على طرابلس من الآستانة ، وقدم اليها في أواخر المحرم سنة ١٢٥٣ هـ - ابريل سنة ١٨٣٧ م ، وجاء معه بعثمان الأدغم ، وكثيراً من الهدايا ، ليستميل قلوب الناس اليه .

وأراد أن يظهر التسامح مع الطرابلسيين ، فمنح عبد الجليل سيف النصر حكم فزان ، كما منح غومة حكم الجبل ، على شرط أن تدفع فزان ضريبة سنوية قدرها خمسة وعشرون ألف قرش ويدفع الجبل ثمانية آلاف قرش . ووافق كل من غومة وسيف النصر على ذلك .

ولكن الوالي اعتبر هذه الضرائب ذات أثر رجعي ، فطالب بها عن السنين المتقدمة على زمن الصلح بينه وبين غومة وعبد الجليل ، فامتنعا عن الدفع عن السنين المتقدمة ، وفسد الصلح الذي عقده معهما الجشمهلي .

ويقول عنه النائب : وكان فاتر الهمة ، مقبلاً على لذاته ، فسرت الفوضى في البلاد ، واستعد غومة وسيف النصر لحربه لأنه نقض صلحه معهما . وتقلص نفوذه من الدواخل .

وبقي في الحكم الى جمادى الآخرة سنة ١٢٥٤ هـ ثم عزل .

- ١٢١ -

علي عشقر

عيّن من الآستانة والياً على طرابلس بعد حسن الجشمهلي . وقدم اليها في أواسط جمادى الآخرة سنة ١٢٥٤ هـ - ١٨٣٨ م. وأبدى نشاطاً في إصلاح ما أفسده غيره : فأصلح بعض القلاع، وأنشأ قصراً للحكومة بأرفلة ، ومركزاً حكومياً بأبي نُجيم وسماه الآثار المجيدية .

وفي سنة ١٢٥٤ هـ ثار عبد الجليل سيف النصر ووصل الى زليتن، وساحل الأحامد، ومسلاتة ، فأرسل اليه حسن البلعزي والتقى به بظاهر مسلاتة ، ودامت الحرب بينهما ثماني ساعات . فانهزم عبد الجليل وترك أهله ومهماته وفر الى جهة فزان .

وفي هذه السنة ثار غومة فبعث اليه جيشاً والتقى به في وادي الهيَرة . وانتصر غومة ، واستولى على منطقة الزاوية والعجيلات وزوارة .

وأدرك علي عشقر - من الهزائم المتتالية على جنده - أن المواجهة لا توصله الى غرضه ، فالتجأ الى الحيلة والدس، وأرسل

بعض جواسيسه ليبثوا الفتنة ويسعوا في التفرقة بين النـــاس ، وتحققت بعض أمنيته ، وسرى الشقاق بين أنصار غومة ، وعلم عشقر بذلك ، فأرسل الى غومة جيشاً والتقى بهم في الزاوية . وصارت معارك طاحنة في الحرشا . وفي سانية المقتلة حيث كان يُقتل أنصارُ غومة . وفي حُوش الخذراوي حيث بقيت — الى سنة ١٩٥٠ — آثار المدافعين على سطوح المنازل وشرفاتهـــا . وظهر الاختلال في صفوف غومة ، والتجأ الى الجبـل . وانتهى الأمر بانتصار جيش الترك وبقي غومة في الجبل .

وفي سنة ١٢٥٧ هـ أرسل علي عشقر جيشاً الى غريان ، فلقيه غومة في جموعه ، فانهزم غومة ، ورجع الى الجبل، وأُسر من وجوه أصحابه نحو السبعين ، وأُرسلوا الى طرابلس ثم قتلوا عن بكرة أبيهم . وكان بعضهم يوضع على (الخـــازوق) حتى ينفذ من رأسه .

وفي سنة ١٢٥٨ هـ أغـار عبد الجليل سيف النصر على هون وودّان ، ووصل بعض جموعه الى سرت ، فأرسل اليـه عشقر عاملَ مصراتـــة (حسن بك البلعزي) ودارت بينهم حرب انتهت بهزيمة عبد الجليل وقتل الكثير من وجوه رجـاله ، ولجأ هو الى قارة سيف النصر ، فتبعه حسن البلعزي وحاصره فيها، ثم ظفر به وقتله هو وأخـــاه سيف النصر وبعث برأسيهما الى طرابلس .

وممن قبض عليهم بسبب هذه المعركة : أحمـــد المريّض [1] الأول ، ومصطفى الأدغم ، ومحمد أبو عائشة ، فقتـل المريّض والأدغم ، وعفي عن أبي عائشة . وعزل علي عشقر في أواخر جمادى الأولى تقريباً سنة ١٢٥٨ هـ - يوليو سنة ١٨٤٢ م .

(١) يقال : ان أحمد المريض الأول ، ومصطفى الأدغم ، وأبا عائشة ، كانوا يكاتبون سيف النصر ويحرضونه على الثورة ، ويعدونه بالمساعدة وكانت هذه المكاتبات محفوظة في مخلاة سيف النصر .. وفي هذه المعركة وقعت المخلاة في يد الترك فوجدوا فيها هذه المكاتبات ، فقبضوا عليهم ، وقتـــل المريض والأدغم ... وأصبحت هذه المخلاة مثلاً في الشؤم ، فيقول الناس (زي مخلة سيف النصر) .

الوزير محمد أمين باشا

عيّن محمد أمين من الآستانة والياً على طرابلس في يوليو سنة ١٨٤٢ م ، وقدم اليها في ستة من جمادى الآخرة سنة ١٢٥٨ هـ . وعُني ببعض الاصلاحات ، وأنشأ بعض المرافق العامة .

ويقول عنه النـائب : (أجرى التنظيمات الخيرية . ورتب القضاءات والمديريات واللواءات . وأسس المجـالس والأقلام . وعدّل أوان الجباية ، وأجرى نظـــام تذاكر المرور ، وأنشأ المستشفى العسكري بالمنشية) واستقدم الشيخ غومة بأمان منه بواسطة مصطفى قورجي ، وأكرم وفادتـــه ، وعيّنه عضواً بمجلس الإدارة ، ومن يومئـذٍ استوطن الشيخ غومـة طرابلس بأهله .

وقد حصل خلاف بين الشيخ غومة واللواء أحمـــد باشا في بعض الآراء ، فقبض على غومة ونفاه الى الآستانة سنة ١٢٥٩ هـ ١٨٤٢ م ، وبقي في منفاه اثنتي عشرة سنة ، ثم هرب ورجع الى طرابلس سنــة ١٢٧١ هـ — ١٨٥٤ م في زمن حكم الوالي مصطفى نوري .

ولِمَ لا يكون غومة حراً في إبداء رأيه وهو يتمتع بحصانة الأمان الذي أعطاه له والي طرابلس . ولو علم الشيخ غومة أن الخلاف في الرأي - إن صح أن هناك خلافاً في الرأي - يكون مدعاة لنقض الأمان ، لما انخدع بهذا الأمان، ولبقي حراً حيث يمكنه التعبير عن رأيه بلسانه، وبندقيته إن اقتضى الأمر ذلك. وهذه هي المرة الثانية التي ينقض الترك فيها عهودهم مع الشيخ غومة .

* شِنْشِنَةٌ أعرفُها من أخزَمِ *

وفي صفر سنة ١٢٥٩هـ علم أنصار غومة بالقبض عليه فثارت قبيلة المحاميد ومن يناصرها من أتباع غومة . وهاجمهم الجيش التركي في كَلَلَّة ، وتغلب على الثورة فأسكتها.

وفي سنة ١٢٦١ هـ ثار مدير كَلَلَّة ولم ينجح .

وقد اتسع نفوذ أحمد باشا ، فأوجس منه الوالي (محمد أمين) خيفة فوشى به الى حكومة الآستانة ، فاستدعي اليها ، ثم عزل محمد أمين في ربيع الآخر تقريباً سنة ١٢٦٣ هـ - مارس سنة ١٨٤٧ م وسافر الى الآستانة في الباخرة التي جاء بها محمد راغب.

-١٢٣-

محمد راغب باشا

عيّن والياً على طرابلس من الآستانة ، وقدم اليها في أوائل جمادى الأولى سنة ١٢٦٣ هـ ويقول عنه النائب: (إنه أول والٍ قدم بعياله) .

ويظهر أن الولاة ما كانوا يطمئنون الى البقاء في طرابلس لما يعلمونه عنها من الفوضى واختلال النظام ، لذلك كانوا يأتون بأشخاصهم ، فإذا نجحوا في إصلاح البلد – وهو مــا لم يحصل قط – فكـّروا في استقدام من وراءهم من النساء والأطفــال . وإن كانت الثانية رجعوا ولسان حالهم يقول :

على سلامَةِ الغِيَّابْ إليّ روّحوا بَاطنْوَالسَهُمْ

وفي هذه السنة توجه متصرف لواء الجبل [١] الى غريان للإشراف على العمل. ولمــا وصل كـَلـَلـّة بيتوه وقتلوه غيلة، فأرسل اليهم الوالي جيشاً فانتقم منهم وبقي في الولاية سنــة وثمانية أشهر .

(١) يقول (كاكيا) اسمه (قاسم) .

-١٢٤-

أحمد عزّت باشا

عيّن والياً على طرابلس . وقدم اليها في الخامس من المحرم سنة ١٢٦٥ هـ - ١٨٤٨ م. وبقي في الولاية حوالي أربع سنوات ثم عزل .

وفي أيامه سنة ١٨٥٠ م أصيبت البلاد بوباء الكوليرا ، فمات خلق كثير ، وهرب كثير من النـــاس الى مالطة وتونس . ولم يكن في عهده ما يستحق الذكر .

مصطفى نوري باشا

قدم والياً على طرابلس غرة ذي الحجة سنة ١٢٦٨ هـ ١٦ من سبتمبر سنة ١٨٥٢ م . وقد علم أن بالساحل والمنشية أناساً مشاغبين فقبض على نحو خمسة عشر رجلاً منهم وأبعدهم فهدأت الحال في المنطقة .

وفي أيامه : في سنة ١٢٧١ هـ–١٨٥٤ م فرّ غومة من منفاه في الآستانة ، ووصل الى ضواحي تونس على طريق رومة وفرنسا ، وأقام مدة بمطماطة . وكاتب والي طرابلس مصطفى نوري وطلب منه أموراً فلم يستجب لطلبه ، فجاء الى جبل نفوسة . ويقول النائب : (فالتقت به قبائل نالوت ، وكاباو ، ويَفرُن ، ومن كان بتلك النواحي من العربان) .

ويظهر من تتبع الحوادث : أن الثورة على الولاة في طرابلس كانت أقرب الى الناس من أي شيء آخر ؛ لأنهم سئموا ظلم الترك واستبدادهم ونقضهم عهودهم مع العرب . فلا يسمعون بثائر حتى ينضموا اليه طلباً للخلاص من حياة الاضطراب التي صاحبتهم عشرات السنين . على الرغم من علمهم بما يلاقونه من

الصعاب في هذه الثورات ليأسهم من عدالة ولاة طرابلس الأتراك .

وفي رمضان من سنة ١٢٧١ هـ - مايو سنة ١٨٥٥م تقدم غومة الى متصرفية الجبل (يَفرُن) وحاصرها ، فاستنجد المتصرف بوالي طرابلس (مصطفى نوري) فأرسل اليه جيشاً رئيس خيالته (محمد أغا انديشه) فلقيهم غومة في الرومية (بقرب قصر يفرن) فهزمهم شر هزيمة ، وقتل منهم خلقاً كثيراً واستولى على القصر وضبط ما كان فيـــه من المهمات والمدافع والعساكر ، ورجعت فلول الترك الى طرابلس .

ولم يلبث غومة أن جمع كل ما استولى عليه في قصر يفرن من المهمات الحربية وغيرها ، وأرسلها الى مصطفى نوري ، ومعهـا رسالة يدعوه فيها الى الصلح ، فأخذ التركي المهمات ، ولم يستجب الى الصلح . فاستمر غومة في ثورتـه واستولى على جبل نفوسة كله ، ثم قدم الى الزاوية وزنزور وانضمت اليه تلك النواحي .

وخرجت جيوش الترك فالتقى بهـا في قرقارش ، واشتدت الحرب بينهم فتقهقر غومـة الى زنزور ، فتبعوه ، واستمر في تقهقره ، وكلما تخلى عن مكان احتلوه ، حتى تخلى عن الزاوية ، ومنها التجأ الى الجبل .

وان إرسال غومة مـــا استولى عليه في يفرن من معدات حربية وغنائم - وهو الغالب ، الى والي طرابلس مصطفى نوري لدليل على حسن النية ، وأنه مضطر الى الثورة طلباً للتخلص من

ظـــلم الأتراك وغطرستهم . كما أن امتناع والي طرابلس من الاستجابة الى الصلح ، وهو مغلوب ، دليل على مـا في نفوس الأتراك من حب السيطرة والتمادي في الظـلم ، ونهب الأموال ، وسلب حقوق العرب واحتقارهم .

وفي هذه المدة عزل مصطفى نوري في أوائل سنة ١٢٧٢ هـ. ومدة حكمه ثلاث سنوات .

عثمان باشا

عين والياً على طرابلس ، وقدم اليها في العشرين من صفر سنة ١٢٧٢ هـ أول نوفمبر سنة ١٨٥٥ م ومـــا زال غومة في ثورته فأرسل اليه جيشاً التقى بــه في الرومية ، في يفرن فهزم غومة والتجأ الى فشاطو .

ويقول النائب : (وأرسل اليــه الوالي برنوساً محلى بالفضة وحصانــاً من جياد الخيل وأخذ عليه تعهداً بالخروج من الجبل ، وألا يعود اليه) ولم يذكر النائب هل قبل غومة الهدية أو لا ، وهل وعد غومة بتنفيذ مــا طلب منه أولاً . واقتضت ظروفه أن يلتجيء هو وبعض أتباعه الى تونس ، ولم تكتب له فيهـــا الراحة ، وحورب فيها وخرج منهــا مغلوباً واضطر الى دخول الحدود الطرابلسية . فأرسل اليه عثمان باشا ، والي طرابلس ، جيشاً برياسة أحمد الأدغم المصراتي ، ولحقوا به في وادي (وان) -- وهو واد بقرب غدامس – وحملوا عليه بقوة لم تكن له بها طاقة . ودافع عن نفسه وحريمه حتى قتل في العاشر من رجب [١]

(١) ١٠ من رجب يوافق ٢٤ فبراير سنة ١٨٥٧ م . وشعبان يوافق مارس سنة ١٨٥٧ م .

أو في شعبان ١٢٧٤ هـ — ١٨٥٧ م .

وانتهت تلك النفس الكبيرة الى مـا ينتهي اليه كل حي . وعاش غومة حياة طويلة ، كلها مغامرات سعيـاً وراء المجد ، ودفعاً لقالة السوء وما يخدش العرض .

ولقد وقف في حروبه مع الترك مواقف البطولة والترفع عن الدنايا ، وقـد دفعتـه نفسه الكبيرة — أكثر من مرة — الى رد ما يتركه الترك في أرض المعركة ، ليثبت لهم أن ما يطلبه ليس هذه الأسلاب ، وانما هو حرية وطنه ورفع ما يعانيه مواطنوه من ظلم الترك واستبدادهم ..

واذا كانت النفوس كباراً تعبت في مرادها الأجسام

رحمه الله رحمة واسعة .

أحمد عزت باشا

عين والياً على طرابلس ، وقدم اليهـــا في الحادي عشر من صفر سنة ١٢٧٤هـ - سبتمبر سنة ١٨٥٧ م. ويقول عنه النائب: (وكان عالماً نبيهاً ، متوشحاً بالحلم ، وله الرأي الثاقب .. وهو أول من أسس المكاتب الرشدية ، وُعني بأمر البريـد ، فابتاع باخرة وسماهـا (المولودية) وأعدّها للسفر بالمحررات الرسمية ، وأوراق المخابرات التجارية) .

ولأول مرة في العهد التركي كله نسمع بوالٍ أنشأ المدارس العصرية لتعليم أبناء الشعب الطرابلسي .

وعزل في السادس عشر من المحرم سنة ١٢٧٧ وبقي في الولاية سنتين وشهرين [١] .

---

(١) بالرجوع الى تعيين من قبله يظهر أنها ثلاث سنوات لا سنتين وشهرين كما يقول النائب .

- ١٢٨ -

محمود نديم باشا

عيّن والياً على طرابلس في المحرم سنة ١٢٧٧ هـ - يولية سنة ١٨٦٠ م . وفي أيامه أمر بغرس الزيتون في ترهونة وغيرها . وفي مدته في سنة ١٢٨١ هـ صدر مرسوم سلطاني بجعل إيالة طرابلس ولاية [١] ، ووضع مجالس الجنايات والحقوق والتجارة وفق هذا النظام الجديد .

وفي هذه السنة أسس مطبعة لصحف الأخبار والوقائع ، وسميت صحيفتها (طرابلس غرب) . وفي أواسط المحرم سنة ١٢٨٢ هـ انفجر مخزن البارود الموجود في البرج الاحمر، فطارت أنقاضه وصخوره الهائلة ، وقتل فيه نحو ثلاثمائة جندي . ووقع بعض الصخور على البيوت فهدمتها ، ومات من السكان نحو مائة [٢] .

---

(١) هكذا يقول النائب .

(٢) يقول جوزف كاكيا : حصلت في عهده ثلاث حرائق : الأولى في نوفمبر سنة ١٨٦٢ م أدى الى خراب معظم نظارة المالية . والثانية في ٢٠/٥/١٨٦٤ م في مخزن البارود . والثالثة كانت في زليتن في كنيس اليهود.

وفي سنة ١٢٨٢ هـ – ١٨٦٥ م فتح الباب الجديد من الجهة الغربية تسهيلاً للمواصلات بين سكان المدينة وخارجها .. وقد أنشأ هذا الوالي من المصالح ما يذكر له بخير. ولم تحصل في أيامه ثورات . وهذا من الصدف القليلة في العهد التركي الطويل في طرابلس .

وعزل في السابع والعشرين من ربيع الأول سنة ١٢٨٣ هـ – يوليه سنة ١٨٦٦ م . وبقي والياً ست سنوات وثلاثة أشهر ذاق فيها الطرابلسيون شيئاً من الطمأنينة والاستقرار .

علي رضا باشا

عين والياً على طرابلس بعد فصل محمود نديم في السابع والعشرين من ربيع الأول سنة ١٢٨٣ هـ - ١٨٦٦م ويقول النائب: (وكان حريصاً على ترقي الولاية ، وتوسيع نطاق التجارة والصناعة والزراعة). ونظم البريد، وأصلح بعض الطرق[١] ومد التلغراف من الولاية الى قرب مدينة الخمس .

وأدرك حاجة سكان المدينة الى المياه ويقول النائب : (فأخرج عيناً بخارج الثغر وجعل عليها سبيلاً) ويظهر أن هذه العين هي بومليانة في بداية أمرها وقبل أن توصل الى المدينة ؛ لأن أول من عني بتوصيلها الى المدينة هو راسم باشا زمن ولايته وأباح البناء خارج الثغر ، وأنشأ سوق العزيزية ، ومكاناً لمعرفة الأوقات ، ووضع عليه ساعة ذات ناقوس كبير يسمع من مسافة بعيدة .

---

(١) ربما كانت هذه الطرق داخل المدينة .. أما خارج المدينة فلم يحصل اصلاح في الطرق في العهد العثماني مطلقاً .

ويظهر أن هذه الساعة غير الساعة الموجودة شمالي سوق المشير بقليل لأن هذه أنشأها علي باشا عشقر ما بين سنتي ١٢٥٤ و ١٢٥٨ هـ .

ولا مانع من أن تكون هي وأدخل عليها علي رضا بعض الاصلاح فنسبت اليه . وفي أسفل برج الساعة حجرة تسمى حجرة المؤقت . والمؤقت موظف مشرف على الساعة .

وأسس علي رضا ناحيتي البذبه وطبرق ، وبنى بهما دارين للحكومة . وكان له بعض الاتجاه الى الاصلاح لا بأس به .

ويقول عنه جوزيف كاكيا : (ولقد أدى اجتهاد وقدرة هذا الوالي الى حسده في الدوائر الدبلوماسية باستانبول ، فان تلك الدوائر حملت الممثلين الدبلوماسيين الأجانب على الاعتقاد بأن تحسن أحوال ليبيا لا يوافق أغراضهم ومطامعهم ، وقد نجحت تلك الدوائر في إقناع أولي الأمر باقصاء رضا باشا – عن طرابلس – فأقصي في سبتمبر سنه ١٨٧٠ م) في السادس عشر من جمادى الآخرة سنة ١٢٨٧ هـ وبقي في الحكم سنتين وتسعة أشهر .

محمد حالت باشا (١)

عيِّن والياً على طرابلس في جمادى الآخرة سنة ١٢٨٧ هـ - أغسطس سنة ١٨٧٠ م . وكان مما عمله أن أبطل التلغراف الذي أنشأه علي رضا باشا . وقد ساءه أن يحدث بعض الاصلاح في طرابلس فأفسد ما أصلحه غيره .

وفي أيامه سنة ١٢٨٨ هـ أصاب البلاد قحط وجدب من قلة المطر ، وعجز الناس عن الحصول على الأقوات ، وانتشرت بينهم الأمراض من أكل الأشياء الفاسدة ، فمدَّ يد المساعدة لكثير من الفقراء ، وأنشأ مستشفى للمرضى . وسمى الناسُ هذا العام عام الجزر لأنه كان أكثر غذاء الناس ، وعزل في الثاني والعشرين من جمادى الآخرة سنة ١٢٨٨ هـ لسنة وسبعة أيام من ولايته (٢) .

---

(١) كتبه كاكيا (حالات) .

(٢) اذا كان محمد حالت عين والياً في السادس عشر من جمادى الآخرة سنة ١٢٨٧ هـ وعزل في الثاني والعشرين من جمادى الآخرة سنة ١٢٨٨ هـ ، فالمدة هي سنة وسبعة أيام لا سنة وستة أشهر كما يقول النائب .

محمد رشيد باشا

عين والياً على طرابلس عقب عزل محمد حالت وعزل في التاسع عشر من صفر سنة ١٢٨٩ هـ . وفي أيامه أقصى كثيراً من الموظفين كانوا مرتشين وسيئي المعاملة مع الأهالي. وعزل في التاسع عشر من صفر سنة ١٢٨٩ هـ ، ومدته سبعة أشهر وسبعة وعشرون يوماً . ولم يكن له من الأعمال ما يذكر [١] .

(١) يقول عنه جوزف كاكيا : (كانت مدة حكمه من يوم ٨ سبتمبر سنة ١٨٧١ الى ٢٧ من ابريل سنة ١٨٧٢ م .

- ١٣٢ -

علي رضا باشا

تولى الولاية في صفر سنة ١٢٨٩ هـ -- ابريل سنة ١٨٨٢ م للمرة الثانية ، وفي أيامه راجت تجارة الحلفاء ، وأنشأ لها مرسى خاصاً لتصديرها ما زال موجوداً بقرب ميدان الغزالة، ويعرف بمرسى الحلفاء .

وعمل على إنقاص الامتيازات وحقوق القناصل التي منحها لهم القره مانليون بمقتضى معاهدات دولية . وعزل في الحادي عشر من ربيع الآخر سنة ١٢٩١ هـ - مايو سنة ١٨٧٤ م لسنة وأربعين يوماً تقريباً من ولايته .

سامح باشا (١)

عيّن والياً على طرابلس في ربيع الآخر سنــة ١٢٩١ هـ — مايو ١٨٧٤ م وشجع بعض الصناعات الوطنيــة ، وخصوصاً صناعة الجلود . ولم يكن له من الأعمال ما يذكر .

وعزل في التاسع والعشرين من شعبان سنــة ١٢٩٢ هـ — سبتمبر سنة ١٨٧٥ م ، ومدة ولايته سنة وسبعة أشهر .

(١) كتبه النائب : سامح بالحاء بعد الميم . وكتبه كاكيا : سامي بيــاء بعد الميم .

مصطفى عاصم

عيّن والياً على طرابلس في أوائل رمضان سنة ١٢٩٢ هـ . وهو الذي فتح غات سنة ١٨٧٥ م وجعلها قائمقامية ، وألحقها بمتصرفية فزّان .

وزار فزان والجبل ، وتجول في البلاد للوقوف على أحوالها ولاستماع شكاوى النـاس من تصرف العمال والموظفين . ويقول عنه كاكيا : (وقضى على الرشوة التي كان يأخذها الموظفون . ولقد قام بوظيفته كوالٍ وقائد لجيوش الاحتلال) . وعزل في الثامن عشر من جمادى الآخرة سنة ١٢٩٣ هـ ، ومدة ولايته تسعة أشهر وثمانية أيام .

- ١٣٥ -

مصطفى باشا

عين والياً على طرابلس في جمـادي الآخرة سنة ١٢٩٣ ﻫ ولم يذكر النائب له من الأعمال ما يستحق الذكر . وعزل في التاسع من ذي الحجة سنة ١٢٩٥ ﻫ يونيه سنة ١٨٧٦ م ومدة حكمـه سنتان وسبعة أشهر تقريباً .

ويقول عنه جوزيف كاكيا : (ولقد قـام بوظيفته المدنية كوالٍ وقائد لجيوش الاحتلال) والذي جعل كاكيـا وغيره يعتبرون الجيش التركي جيش احتلال هو ذلك الأمن المختل في البلاد ، ونظام الحكم الفاسد المبني على العنصرية والاستغلال . وانصراف الترك الى ملء جيوبهم ، وإشبـاع شهواتهم ، وترك البلاد للفقر والجهل والمرض .

علي كمالي باشا

عين والياً على طرابلس في ذي الحجة سنة ١٢٩٥ هـ يناير سنة ١٨٧٨ م وكان قبل ذلك حاكماً على برقة . وهو باياث الروميلي وعزل في التاسع من ربيع الآخر سنة ١٢٩٦ هـ ومدة حكمه أربعة أشهر تقريباً .

وجعل النائب عزل الوالي الذي قبله في ذي الحجة سنة ١٢٩٥هـ ومن البديهي أن يكون تعيين علي كمالي عقب عزل الذي قبله . ولما ذكر عزل كمالي جعله في ربيع الآخر ، وقال من السنة المذكورة يريد سنة ١٢٩٥ هـ وهذا لا يصح ، لأنه يقتضي أن يكون عزله قبل تعيينه وهو باطل فجعلت أنا تاريخ العزل سنة ١٢٩٦ هـ ليصبح رجوع اسم الاشارة اليه في قوله (من هذه السنة) والمسألة تحتاج الى تصحيح من مراجع اخرى .

- ١٣٧ -

محمد صبري باشا

تولى ولاية طرابلس بعد علي كمالي. ولم يكن له من الأعمال ما يذكر ، وعزل في الخامس من ذي الحجة سنة ١٢٩٦ هـ – نوفمبر سنة ١٨٧٨ م . ويقول النائب : ومدة ولايته ثمانية أشهر .

-١٣٨-

محمود جلال

عيّن واليا على طرابلس عقب عزل محمد صبري في ذي الحجة سنة ١٢٩٦ هـ - نوفمبر ١٨٧٨ م . وعزل في السابع من شعبان سنة ١٢٩٦ هـ - يوليو سنة ١٨٧٩ م ومدة حكمه تسعة أشهر .

-١٣٩-

أحمد عزت باشا

عيّن والياً على طرابلس (المرة الثانيــة) في شعبان سنة ١٢٩٦ هـ – يوليــه سنة ١٨٧٩ م . وهو الذي أسّس مكتب الصنائع الموجود الآن بشارع ٢٤ ديسمبر ، ومستشفى الغرباء ، وقد يكون بمكان مستشفى البلدية المبني في مكان جبانة الغرباء.. وأصلح القلاع والأسوار . وأسس سوق الحميدية الذي كان في مكان وزارة الداخلية الآن تقريباً . وأسس (الفنار) على الميناء شرقي الفلفول . والفنار مبنى عالٍ يشبه الصومعــة ، يوضع على رأسه مصباح كبير لتهتدي به السفن وهي سائرة في البحر .

وعزل في جمادى الآخرة سنة ١٢٩٧ هـ – مــايو ١٨٨٠ م ، ومدة حكمه أحد عشر شهراً ، لا كما قال النائب (سنة وعشرة أشهر) .

محمد نظيف

عيّن والياً على طرابلس في جمادى الآخرة سنة ١٢٩٧ هـ — مايو سنة ١٨٨٠ م. وفي أيامه ألغى مكتب الصنائع الذي أُسس في زمن أحمد عزت ، وجعله مخزناً لأرزاق الجند. وكانت أبواب المدينة تغلق بعد صلاة العشاء ، فأمر بفتحها .

وفي أيامه سنة ١٢٩٨ هـ — ١٨٨١ م احتلت فرنسا تونس ، وأوجس الترك خيفة على طرابلس ، فقدمت عدة بواخر من الآستانة عليها مدافع وآلات حربية ، وأصلح برج التراب ، وبرج سانية الباشا ووضعت عليهما المدافع الجديدة ، خوفاً من أن تمتد يد الأوروبيين الى طرابلس كما امتدت الى تونس . وعزل في ذي القعدة سنة ١٢٩٨ هـ . ومدة ولايته ستة أشهر .

والى هنا انتهى ما لخصناه من الجزء الأول من (المنهل العذب) تاريخ النائب .

ومما يلفت النظر أنه منذ ولاية عثمان باشا سنة ١٢٧٢ هـ الى ولاية محمد نظيف سنة ١٢٩٧ هـ تولى طرابلس ١٥ والياً ، وكلهم موفدون من الآستانة ، في مدة لا تتجاوز ٢٥ سنة . وأكثرهم

تعد مدة ولايته بالشهور ، ومنهم من تعد بالأيام. فلا يكاد الوالي يستقر في وظيفته حتى يأتي الأمر بعزله ، فلا يتمكن – في تلك المدة القصيرة من عمل شيء حتى ولو كان من محبي الاصلاح. وهم في كثرة الصادر والوارد منهم أشبهُ شيء بلعبة الشطرنج .

ويظهر أنها سياسة مبيتة في الآستانة يديرها – من وراء ستار – مديرو سياسة الطلب والعرض ، فمن رسا عليه المزاد فاز بالصفقة ، وعيِّن والياً على طرابلس .

فإن أناساً ممن لهم دراية بما يجري وراء الستار في مكاتب الآستانة يميلون الى هذا الرأي . بل يذهبون الى أبعد منه ويقولون : إن حكومة الآستانة – في عهدها الأخير – لا ترسل الى طرابلس إلا المشاغبين أو الخطرين على الأمن الذين تخشى وجودهم في البلاد التركية ، وتترك لهم الحبل على الغارب ، يتصرفون في البلاد وأهلها بما يملأ جيوبهم ، ويوفر لهم شهواتهم ، ولا يخافون رقيباً .

أحمد راسم

أُسندت اليه ولاية طرابلس في ذي القعـدة سنة ١٢٩٨ هـ ، وقدم اليها في المحرم سنة ١٢٩٩ هـ - نوفمبر سنة ١٨٨١ م. وكان له نشاط ملموس وهمة في حب الاصلاح ، ونزعـة سياسية ضـد المستعمرين .

وأول مـا بدأ به عمله أن نزع الحماية عن أولئك الذين كانوا يحتمون بالأجانب وقيّدوا أسمـاءهم في القنصليات الأجنبية. وسواء أكان احتماؤهم بالأجـانب لضيم نزل بهم من الإدارة التركية ، أو لأغراض خبيثة في نفوسهم ، فإن هذا العمل مخالف للدين ومزرٍ بالكرامة ، مما دعا راسم باشا الى الإسراع بإبطال هذا الأمر القبيح .

ولقد كان لهـذا النوع من المواطنين أكبر الأثر في إغراء الايطاليين باحتلال ليبيا ، بل وبطول بقائهم فيها .

وقد كانت القبائل المتاخمة للحدود الغربيـة -- سواء من التونسيين أو الطرابلسيين -- كل منهم يغير على الآخر مما يؤدي الى الحروب المتواصلة بين الطرفين . حتى تأصلت بينهم العداوة

واستعصى حل هذه المشكلة العويصة على كل من حكومتي تونس وطرابلس .. وبسبب مساعي راسم باشا الحميدة ، ومـا أبدى من التسامح ولين الجانب خفـّت هذه العادة حتى كادت تنقطع . وأصبحت المواصلات ميسورة الى حد كبير ، وتبودلت المنافع والتجارة .

وكان التجار الى السودان يسرقون الأطفـال والنساء من السودان ويأتون بهم الى طرابلس ويبيعونهم على اعتبـار أنهم أرقاء . ومـا هم بأرقـّاء ، ولكنهم اسارى في أيدي أولئك التجار الظلمة ، وقد يوجد فيهم المسلم ، بل ومَن يحفظ شيئاً من القرآن ، ولا تنطبق عليهم صفـة الرقيق ولا أحكامه . ولكن أولئك اللصوص في ثياب التجار لا يهمهم إلا مـلء جيوبهم ولو ببيع الآدمي وإهانتـه . وكم يلاقي أولئك المساكين — وهم في الطريق — من القتل والإهانـة ، والجوع والعري والعطش .. فأبطل راسم باشا هذه العادة ، ونعم ما فعل .

وأصدر أوامره بعتق كل من كان مملوكاً اذا لجأ الى الحكومة ، وتعطى له ورقة العتق . وتوضع النساء من هـذا النوع في دار الضيافة التابعة للبلدية حتى يتزوجن ، أو يؤخـذن في البيوت بصفة الخدمة بأجرة يومية أو شهرية .

وأنشأ كثيراً من القلاع والحصون للدفاع عن البلد ، ذكرنا أكثرها في كتابنا (معجم البلدان الليبية) وحدّ من سيـاسة الأجانب حتى تحرشوا به وجعلوا يناوئونه .

وأصلح كثيراً من الإدارات في داخل الولاية وخارجها ، وأنشأ غرفة للتجارة ورصف شوارع المدينة ، وجعل فيها مجاري توصل فضلات الماء الى البحر . وأنشأ مستشفى قرب باب البحر يحتوي على ١٤ غرفة تتسع لمئة وخمسين سريراً ، غير الغرف التي تلزم لعمال المستشفى وإدارته .

وأصلح بئر بومليانة ، وجعل عليها آلة رافعة للماء من جوف الأرض ، وجعل لها خزانات كبيرة بقرب البئر . وركب فيها أنابيب توصل الماء الى المدينة مسافة ألفين وخمسمائة متر. وجعل أمام المدينة – بقرب باب الخندق – خزاناً كبيراً يسع ٦٢٤٠٠ اقة من الماء ، يتجمع فيه الماء الذي يجيء من بومليانة ، ومن هذا الخزان يستقي الناس بواسطة أنابيب صغيرة (شيشمات) (حنفيات) .

وأنشأ مركزاً للحكومة في سرت ، وأنشأ بعض الفنادق في بعض الملحقات ، وأنشأ المدرسة الحربية في باب البحر . وتناول بالإصلاح أشياء كثيرة .

وبقي في الحكم نحو ١٨ سنة تمكّن فيها من تحقيق بعض ما كانت نفسه تحدّثه به من إصلاح البلاد ، والسعي في خير العباد ، شكر الله له .

-١٤٢-

نامق باشا

أُسندت اليه ولاية طرابلس سنة ١٨٩٨ م، وهو الذي أسس مدرسة الفنون والصنائع بشارع ٢٤ ديسمبر . ويقول جوزيف كاكيا: (وفي مدة تولية نامق باشا ظهر أن ماء الشرب الذي جلب لطرابلس من (بومليانة) لم يعد كافياً لحاجة المدينة لازدياد عدد سكانها ، فبُدىء بإنشاء موارد أخرى للمياه كلفت الحكومة خمسة وثلاثين ألف ليرة تركية ، وجلبت المياه من عين زاره) .

-١٤٣-

هاشم باشا

عيّن والياً على طرابلس . ولم تطل مدته .

-١٤٤-

حافظ باشا

عيّن والياً على طرابلس سنة ١٨٩٩ م وأمر بتعداد النفوس، وتسجيل الأراضي (الطـّابـُو) .

-١٤٥-

حسن حسني

عيّن والياً على طرابلس سنة ١٩٠٣ م. وكان معتل الصحة، ضعيف الإرادة، تركياً بجنسيته، ايطالياً بروحه وأعماله، وكان من معاول السياسة الايطالية الهدّامة، قضى على كل ما بقي في طرابلس من أسباب مقاومة السياسة الايطالية. وكان من أكبر المشجعين على إنشاء شركة الفوسفات الايطالية التي عارضها رجب باشا حتى أبطلها. وكان طوع إرادة الايطاليين ومنفذاً لجميع مطالبهم.

وفي زمنه تطاولت الصحف الايطالية بالشتم على الطرابلسيين المعارضين للسياسة الايطالية، وأخذت تغري الحكومة الايطالية بالإسراع باحتلال طرابلس، فاجتمع الناس ليؤلفوا مظاهرة يحتجون فيها على ما تنشره الصحافة الايطالية، فمنعهم حسني باشا.

وبقي في طرابلس نحو أربع سنوات كان فيها المخلص الأمين لتنفيذ رغبات ايطاليا، والمنفذ القوي لكل ما يمهد لها الطريق للتعجيل باحتلال طرابلس.

وكان ياور حسني باشا ، وترجمانه ، فروكر اليهودي، وكثير من كبار موظفي الحكومـة في عهده ، من أنصار ايطاليـــا ، والترويج لسياستها ، وكانوا يعارضون كل مواطن يبدي تذمره من السياسة الايطالية .

وفي آخر أيامه اشتدت به العلّة ، فذهب الى مالطـة سنة ١٩٠٦ لتعمل له عملية جراحية ، فمات وهو في طريقه اليها .

هذا مختصر من أعمال حسني باشا في طرابلس، وله مثل هذا كثير ذكرناه في تمهيدنا في (جهاد الأبطال) .

رجب باشا

عيّن والياً على طرابلس سنة ١٩٠٤ م [١] ، وكانت الحالة العسكرية في طرابلس قد ساءت . وظهرت مساعي ايطاليا واضحة لاحتلال ليبيا . وأخذت في تهيئة الرأي الأوربي للتسليم بحقها في احتلال ليبيا .

وكان من مهمته السعي في تحسين الحالة العسكرية لمواجهة ايطاليا اذا هي اعتدت على ليبيا والحدّ من نشاط السياسة الايطالية في طرابلس التي أخذت تتدخل في شؤون طرابلس بشكل ملموس . وتبذل من المساعي في الآستانة لتمهد الطريق لسياستها في طرابلس وازداد هذا التدخل حينما تسلمت جماعة الاتحاد والترقي الحكم سنة ١٩٠٨ م .

وهو الذي أنشأ سوق المشير المعروفة أمام جامع أحمد باشا من الجهة الشرقية وأنشأ المدرسة العليا والمدارس الابتدائية .

---

(١) وقال كاكيا سنة ١٩٠٦ م . وقد شغل عدة وظائف في طرابلس قبل أن يكون والياً .

وكان نشاطه ضد السياسة الايطالية سبباً لبذل الايطـاليين مساعيهم في الآستانــة لنقله من طرابلس ليخلو الجو لسياستهم في ليبيا . وقد تم لهم ذلك ، واستدعي رجب باشا الى الآستانة وعيّن وزيراً للحربية . وخلفه بكر بك كنائب عنه .

-١٤٧-

أحمد فوزي باشا

عيّن والياً على أطرابلس سنة ١٩٠٩ م . وفي أيامه أمر بهدم جانب من السور من الناحية الغربية لتوسيع المدينة . وهو المسمى (باب الحرية) .

-١٤٨-

ابراهيم أدهم باشا

عيّن والياً على طرابلس ، وقائداً عاماً في أواخر سنـــة ١٩٠٩ م . وقد وجد البلاد في ارتبـــاك عظيم من جرّاء النفوذ الايطالي ، وفوضى ما بعدها مزيد ، بسبب سيـــاسة الضعف والإهمال التي سلكتها حكومة الآستانـة في السنين الأخيرة مع طرابلس . وخصوصاً في أيام حسني باشا الذي كان طوع السياسة الايطالية . وأيقن أنه لم يبق دون الاحتلال الايطالي إلا عشيـة أو ضحاها .

ورأى من حالة البلاد ألاّ سبيل الى تأخير العمل . فشرع في إصلاح الأمور بكل قوة وحزم . واستعمل نفوذه في كل صغيرة وكبيرة . وشرع في جمع الرديف ، وتعليم المتطوعين ليجمـــع أكبر عدد ممكن من الجند ، وفرض الجندية على البلاد . وأمكنه أن يجمع نحو سبعة آلاف جندي .

ومنع بنك دي روما من إخراج الحجارة الأثرية من قرقارش . فالتجأ الطليان الى حكومة الآستانة فأعطتهم رخصة في البحث في أماكن أخرى .

وقد وقف للسياسة الايطاليـــة في كل مكان ، فما سلكت طريقاً إلا سدّه في وجهها ، حتى سُمي (عدو ايطاليا الأكبر) وكتب أكثر من تقرير لحكومة الآستانة يبين لها فيه ما عليـــه طرابلس من فوضى في الإدارة، ومن ارتباك في تصريف الأمور ويحذرها من نشاط السياسة الايطاليـة ، وأنها جادّة في احتلال طرابلس . وأن الأمور إذا لم تؤخــذ بحزم ، وفي أسرع وقت ، فلا بد من وقوع الكارثة ، ولكن الحكومـــة العثمانية لم تردّ عليه بشيء .

ولما وقعت الكارثة ، وأرسلت ايطاليا إنذارها النهائي الى الحكومة العثمانية في ٢٩ من سبتمبر سنة ١٩١١ م ، استدعتــه – وكان مقيماً بالآستانة – لتأخذ رأيه فقال لها : (اني أرسلتُ الى الحكومــه تقريراً منذ سبعــة أشهر فلم تلتفت اليه) وترك المجلس .

ويقول عنه جوزيف كاكيا : (وكانت سياسة ابراهيم باشا هذا ضد الايطاليين على خط مستقيم، ولم يكن يتوانى في إظهار حقده عليهم أينما وجدوا ، وساءت الحالة مع ايطاليــا ، وسافر ابراهيم باشا الى استانبول ليتصل بذوي الأمور هناك تاركاً وراءه سكرتيره العام أحمد راسم باشا ليقوم بمنصبه . ولقد أمّل ابراهيم باشا أن يرجع بنجدات لتقوية حاميــة البلاد ، ولكن الحوادث كانت تسير بسرعة ، فأعلنت ايطاليا الحرب على الدولة العثمانية يوم ٢٩ سبتمبر سنة ١٩١١ م) .

والى هنا انتهى العهد التركي الثاني في طرابلس الذي ابتـدأ بنجيب باشا في المحرم سنـة ١٢٥١ هـ وانتهى بابراهيم أدهم باشا سنة ١٣٢٩ هـ ، ودام ٧٨ سنة .

يضاف الى العهد التركي الأول ومدته ٢٦٥ فيكون العهـد التركي كله في طرابلس ٣٤٣ سنة ، لم يرَ فيهـا الطرابلسيون من آثار الحكم الصالح ما يحملهم على ذكره بخير .

(من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربّك بظلاّم للعبيد) .

محتويات الكتاب

صفحة

صفحة

صفحة